المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

قصة البردى اليونانى فى مصر

فى العصر (اليونانى والرومانى)

الطبعة الثانية

تأليف : س . هـ . روبرتس

ترجمة وتعليق : محمود إبراهيم السعدنى

قصة البردى اليونانى فى مصر
(فى العصرين اليونانى والرومانى)

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٦٠٦/ ٢
- قصة البردى اليونانى فى مصر (فى العصرين اليونانى والرومانى)
- س. هـ. روبرتس
- محمود إبراهيم السعدنى
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة الفصل الثالث عشر من كتاب:

The Legacy of Egypt
by: R. Harris

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

قصة البردى اليونانى فى مصر
(فى العصرين اليونانى والرومانى)

تأليـــــف: س. هـ. روبرتـــــس
ترجمة وتقديم: محمود إبراهيم السعدنى

٢٠٠٩

المحتويات

مقدمة المترجم	9
قصة البردى اليونانى فى مصر وخارجها	13
البردى تحت حكم البطالمة	21
تقييم عام لدور البردى التاريخى	25
التعليم فى ضوء أوراق البردى	33
العقود	39
ملاحظات عامة حول البردى الآن	47
السحر فى البردى	53
خاتمة الكتاب	55
هوامش الكتاب	57
مراجع عامة منذ مطلع السبعينيات	67
إضافات بحثية للمترجم فى مجال الترجمة عن اليونانية القديمة	69
ثلاث برديات من البهنسا	71
أول سائح رومانى لمصر : من ؟ و متى ؟ ولماذا ؟ ؟	81
خاتمة الإضافات	89
هوامش الإضافات	91

الإهـــــداء

إلى روح رَائِدَيْ الدراسات البردية في مصر والعالم العربي العالمين المصريين الكبيرين :

١ - أ. / زكي علي

٢ - أ.د. / عبد اللطيف أحمد علي

رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته .

(المترجم)

مقدمة المترجم

لما كنت غير مؤمن بقيمة الترجمة الكاملة للأعمال الأجنبية إلى اللغة العربية ، مفضلاً عليها الترجمات الجزئية ذات الفائدة المباشرة المحددة ، وفي ميادين محددة سبقنا إليها العالم الخارجي بكثير ، فإنني لم أقبل على خوض مثل هذه التجربة منذ بداية مشواري العلمي ؛ ذلك لأن لي تحفظات عليها ومنها :

(أ) لا تخلو الأعمال الأجنبية من وجهات نظر شخصية جداً ، وشطحات ذاتية ، لا تفيدنا كثيراً ، بل ربما تضر أكثر مما تنفع ، ولا يمحو أثرها هامش أو تعليق للمترجم يضيفه على استحياء أسفل الصفحة ، وغالباً ما يكون ، الآن ، في آخر الفصل لا تمتد إليه يد القارئ .

(ب) ليس كل سبق للشرق أو الغرب ، في ميادين العلم النظرية ، بضروري أن يترجم ترجمة كلية حرفية إلى العربية ، وذلك لاختلاف توجهات واهتمامات كل مجتمع من المجتمعات وفق نظامه السياسي والاجتماعي وجذور موروثه الثقافي والحضاري ذي الأبعاد العقائدية العريقة .. فما ينفع الشرق لا ينفع الغرب ، والعكس صحيح . وهنا وجب التدقيق في الاختيار ، وقيام هيئة قومية للترجمة ، ذات ضوابط ثابتة يلتزم بها الجميع .

(جـ) كثيراً ما نجد ترجمات لأعمال صحيحة (ربما تكون عظيمة في مجتمعها الأجنبي ، ولكنها لا يمكن أن تكون كذلك في مجتمعنا) ، ويقوم على تعريبها أناس غير متخصصين في المجال العلمي الذي يتناوله الموضوع . ومن هنا يجيء التعريب مشوهاً ، ومبتوراً وناقصاً ....

(د) وكذلك يمر وقت طويل بين تاريخ نشر الأصل الأجنبى وتاريخ الترجمة العربية له ، الأمر الذى يفقد العمل الرئيسى أهميته الحقيقية ، ويأتى فى غير أوانه ، ولا تكون الإفادة منه فى حينها .. هذا فيما عدا الأعمال الأدبية القصصية والشعرية مثلاً ، التى لا تعترف بحدود الزمان والمكان.

ولذلك فإننى أشعر بالفخار وواجب التشجيع لكل من يساهم ويعلى بناء المجلة العربية الأولى ، فى الترجمة المتخصصة ، والسريعة [حيث تشترط ألا يزيد وقت نشر الأصل عند الترجمة عن (٦) أشهر] ، وهى مجلة " الدراسات المستقبلية " الصادرة عن دولة الكويت .

ومع كل ذلك ، فإننى أضع بين أيديكم باكورة عملى البسيط بعد أن طلب منى المساهمة بهذا الجهد المتواضع فى ترجمة هذا الفصل المتخصص فى البردى اليونانى، داخل كتاب : " تراث مصر " The Legacy of Egypt لصاحبه ريتشارد هاريس R.Harris تضامناً منى لإنجاز العمل العظيم الذى تبناه الزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمود ماهر ، مدير مركز تسجيل الآثار بالقاهرة ، الذى أخذ على عاتقه إعداد هذه الترجمة لميادين عديدة من تاريخ مصر القديمة ، بالتعاون مع أساتذة كبار ، كل فى تخصصه ، ويأتى العمل متكاملاً من جميع الوجوه .

كما أننى - وكان هو شرطى الوحيد عند الموافقة الاستثنائية هذه - أن أعلق وأضيف إلى مادة ذاك الفصل المحدود من هذا الكتاب ، ولكن لابد أن نعرف جميعاً أنه أصبح قديماً مقارنة بالدراسات والأبحاث التى خرجت إلى النور من بعده ، ولاسيما فى مضمار الدراسات البردية التى تتجدد كل عام بمجهود علماء أجلاء فى مختلف أنحاء العالم .

وكذلك وجدت من الضرورى إضافة عناوين جانبية فرعية لعلها تبرز جزئيات المعالجة وأفكار الموضوع.

ولا يمكننا نحن بصدد الحديث عن البردى اليونانى ، أو حتى اللاتينى (لا سيما تلك الآلاف العديدة من اللفافات التى تم الكشف عنها فى رمال مصر الدافئة وتؤرخ بالعصر الرومانى من تاريخ أرض الكنانة) أن ننسى الإشارة إلى علمائنا الأجلاء

ورواد نهضتنا العلمية فى هذا الفرع من التخصص الدقيق لإماطة اللثام عن حقبة من تاريخنا التليد . وهم حسب تسلسل العطاء :

- أ.د./ عبد اللطيف أحمد على (*) — جامعة القاهرة
- أ.د./مصطفى العبادى — جامعة الإسكندرية
- أ.د./عبد الله المسلمى — جامعة عين شمس .
- أ.د./ حمدى إبراهيم — جامعة القاهرة .
- أ.د./علية حنفى — جامعة عين شمس .
- أ.د./سيد عمر — جامعة عين شمس .

ولكل منهم إسهاماته العلمية المنشورة باسمه فى المجلات والدوريات العلمية. كما لا يجوز أن ننسى المجهودات الجبارة المتواصلة لأستاذ الأجيال فى التعريف بعلم البردى ومجموعاته العالمية ، وهو الأستاذ زكى على (**) .

(*) لا يزال كتاب أستاذنا الدكتور عبد اللطيف (رحمه الله) " مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية " ، مرجعًا لا مثيل له فى العالم العربى كله، حيث لم يخرج إلى النور حتى الآن أى كتاب يعالج تلك العلاقة بين مصر وروما من خلال الوثائق البردية المنشورة سواء فى الدوريات العالمية المتخصصة أو ضمن المجموعات الخاصة ، أو حتى فى الدراسات والأبحاث المستقبلية فى كتب أو مقالات . وقد تفضل مشكوراً فأخبرنى بأنه مشغول باستكمال الفترة الزمنية اللاحقة على عهد هادريان ، وهى التى توقف عندها هذا الجزء الذى بين أيدينا الآن .

(**) أستاذى الكبير زكى على (رحمه الله) ، كان الممارس الحقيقى لنشر البرديات المصرية القديمة ، اليونانية اللغة ، منذ لحظة شرائها وحتى ساعة نشرها فى الدوريات العالمية ، وله فى ذلك تجارب كثيرة وأبحاث جادة ، كما أنه صاحب أحدث وأكمل كتاب عن قصة البردى كعلم مصرى أصيل (وقت إعداد هذه المقدمة سنة ١٩٩٤) ...

هذا ، ناهيك عن المحاولة الرائدة التى أقدم عليها الزميل ، خالد الذكر ، المرحوم الدكتور فاروق فريد ، الذى أصدر أول دورية بردية متخصصة يعدها مصرى فى الخارج، وكان ذلك فى مطلع الثمانينيات فى أثينا باليونان، حاملة عنوان " "Aegyptus، أى " مصر " معلنة عن روح الانتماء الكامنة فى حشايا وعقول الطيور المهاجرة ، فرحمة الله عليه .

وكذلك لا يمكننا أن ننسى المجهود الرائد الكبير الذى قام به مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس لنشر الثقافة البردية وتكوين مكتبة متخصصة فريدة فى هذا المجال فى كل المنطقة العربية ، فتحية إلى كل صاحب فكر و إسهام فى إنجاز هذا المركز و استمرار إشعاعه العلمى فى بلدنا .

وأخيراً ، فإننى أستبيح لنفسى أن أستعير هذا العنوان الحالى الدقيق ، الملائم تماما لموضعنا ، ومن ذلك البرنامج الإذاعى الناجح الكاشف لإنجاز وزمان شخصيات رائدة فى حياتنا المعاصرة ، وهو برنامج " شاهد على العصر " لمقدمه الناجح عمر بطيشة ، وليأذن لنا بتلك الاستعارة المكتوبة وليست المذاعة على الهواء ، وفقه الله وإيانا إلى سواء السبيل .

والله من وراء القصد

قصة البردى اليونانى فى مصر وخارجها (*)

[فى العصر اليونانى والرومانى]

"البردى ، بعد أن تسيد [1] شاطئ النيل ، نشر أوراقه الناعمة ، وراح عودها الفضى يتماوج " .

إن الهرم ، ذا الحكايات ، وجذع التمثال المكلل بالغار، والرمز المقدس، وأغنية الملحمة (غير المعروفة البطل، والتى نسيت لهجتها)، مع كل قائد منتصر، أو زعيمة

(*) كلمة Papyros اليونانية مأخوذة عن مفردة مصرية قديمة : إما من (pa-pi-ur) بمعنى " نبات النهر" أو من (pa-pu-ro) بمعنى "نبات الفرعون " .

وكلمة " بردى " العربية ، مأخوذة من الأصل اليونانى لهذه الكلمة وهى (papuros) وهو تحريف يونانى للأصل المصرى أقدم عليه اليونانيون عند وجودهم فى مصر ، ولا سيما إبان العصر الصاوى (للأسرة السادسة والعشرين = ٦٦٤-٥٢٥ ق.م) عندما جاءوا بالآلاف إلى مصر بمباركة فرعون مصر أبسماتيك الأول ، وأقاموا فى مصر وزاولوا عدة أنشطة أهمها : العمل جنوداً مرتزقة فى جيش أبسماتيك ، وبحارة فى أسطول مصر الحربى آنذاك ، ثم تجاراً ، انتشروا فى شتى أنحاء مصر ، حتى وصلوا إلى الواحات (الخارجة مثلا) فى ظل الحكم الفارسى لمصر .

لمزيد من المعلومات عن دور اليونانيين الأول ومراحل علاقاتهم بمصر القديمة ، انظر : محمود السعدنى ، العلاقات المصرية اليونانية القديمة ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، إعداد وتقديم : أ.د. رءوف عباس ، دار الفكر للتوزيع والنشر سنة ١٩٨٦ ، ص ٤١-٦١ .

ولمزيد من المعلومات عن أصل كلمة " بردى " وتطوره لفظا ومضمونا حتى أصبح علما ، انظر :

(أ) إدريس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى فى ضوء البردى ، ترجمة د. عبد اللطيف أحمد على و د . عواد حسين ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٩-٥٦

(ب) Mandilaras ,B., V., Papyroi kai papyrologia,Teuchos I, Athenai 1978, pp.41-51.

(جـ) Lewis,N.,Papyrus in Classical Antiquity Oxford 1974, p.4.

(د) زكى على : علم البردى ، تراث مصرى أصيل ، القاهرة ، 1985 ص ٥-١٢٣ .

(ملكة) شرعية، فقد غاص كل أولئك، غير ملحوظين، فى عالم النسيان ، والسبب حزنها على الآثار المتناثرة ، فتنهدت الآلهة وكذلك ربات الفنون الوليدة ، ولكنها امتهنت قول النبوءة والعرافة وتلاشت ، لقد علمتنا البابيرا أن نزين الصوت والفكر بألوان خفية التركيب، وصلت بها إلى أرقى درجات الإتقان (٢). كما علمتنا كذلك - بفضل صوت الحكمة - أن نطبع صفحة فخمة ، وأن نحدد - بطريقة ثابتة راسخة - خطوات الزمن"(٣).

قصة اكتشاف البردى

فى عام ١٧٧٨ أعطى فلاحون حوالى أربعين أو خمسين لفافة بردية إلى تاجر أجنبى يزور مصر، وكانت إحداها لفافة، كان التاجر الجوال قد اشتراها بدافع الفضول لقاء مبلغ قليل من المال، تاركا اللفافات الأخرى الباقية لمصير الحرق على أيدى الأهالى، الذين ضايقت أنوفهم (هكذا تروى القصة) رائحة البردى المحروق، وقد وصل ما تبقى إلى يدى رجل إيطالى قام بتقديمها إلى الكاردينال ستيفانو بورجيا (Stefano Borgia) . وتمنى علماء كثيرون الأمانى - وكان فنكلمان (Winckelmann) من بينهم - أن يجدوا - فى تلك اللفافات - أحد الكنوز المفقودة للأدب اليونانى، ولكنهم سرعان ما خابت آمالهم. إن اللفافة التى وجدت لم يكن فيها شىء سوى قائمة بأسماء مزارعين من قرية بتوليمايس هورمو (Ptolemais Hormou) - فى الفيوم - كانوا قد أتموا تأدية أعمالهم من نصيبهم الإجبارى فى حفر القنوات وإقامة الجسور. ولما كان عمر التاريخ الاجتماعى لم يبدأ بعد، أو كان لا يزال فى مقتبل وجوده العلمى، فإنه لم يكن مفاجأة أن اللفافة البردية وظروف اكتشافها قد طواها النسيان سريعا. ومع ذلك، فإن تلك الواقعة كانت مهمة، ذلك لأن خارتا بورجيانا (Charta Borgiana) - ربما بعيدا عن بعض الأجزاء التالفة المفقودة من "البردية التركية" والتى يشك فى أصلها، والتى كان عالم اللاهوت ج.ج. جرينايوس (J. J. Grynaeus) قد قدمها إلى مكتبة الجامعة فى بازل عام١٥٩١ (٤) - كانت أول بردية تصل إلى أوروبا منذ تجارة المواد الأولية للكتابة فى العالم القديم إبان العصور المظلمة (٥).

وبالرغم من أن ذلك جاء قبل عمل حفائر بهدف محدد وهو الكشف عن برديات يونانية بما لا يقل عن مائة عام، فإن عدد النصوص التى تم العثور عليها بأيدى الأهالى، والتى عرفت طريقها إلى متاحف أوروبا بانتقالها إلى أيدى الرحالة وأصحاب المجموعات الخاصة، كانت فى ازدياد مستمر طيلة القرن التاسع عشر. **وقد كانت أول بردية أدبية** (٦) **تم الكشف عنها عبارة عن مخطوط لجزء من الإلياذة**، والذى كان بمثابة رمز لكم هائل من النصوص الهومرية، والتى لم تلق ترحيبًا فعليًا. ولقد كان اكتشاف عام ١٨٤٧ لشذرات من ست خطب لخطيب غير معروف آنذاك، يدعى هيبيريدس (Hyperides)، باعثًا لأمل أكبر فى المستقبل. ولم يمر وقت طويل بعد سرقة أكوام الزبالة (السباخ) اليونانية فى أرسينوى (Arsinoé) – مدينة الفيوم – والتى أغرقت السوق بآلاف البرديات (والتى كان أغلبها شذرات متفرقة)، حتى بدأ عصر الحفائر العلمية. وبالرغم من أن الأمور لم تنته بعد، فإنه من المؤكد أنه لن ينافس ثراء وغنى منطقة أوكسيرنخوس فى موقع آخر، التى كافأت العلماء الأوائل فى هذا المضمار وهما ب. پ جرنفل (B. P. Grenfell) و أ. س. هنت ((A. S. Hunt) ؛ فمنها ومعها بدأت تلك النهضة الصغرى التى أثرت تقريبًا فى كل جزء فى الدراسات الكلاسيكية (٧). واليوم فإنه عندما تكون الأحوال والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية هى من مواد التاريخ المعترف بها، تكون بردية خارتا بورجيانا (Charta Borgiana)، قد غدت جزءًا من مواده ومكوناته الخاصة.

ولما كان تراث البردى (الذى ينقله إلينا على صفحاته هو فى طبيعته تراث علم بماضى حضارة ما، أكثر منه نقلاً مباشرًا لعالم اليوم، فإنه يتأثر بكل معلومة تُضاف إليه أو دراسة متأنية تتعمق فى أصوله. وإذا لم يكن البردى عملاً فنيًا (Objects d'Art) أو أنه كذلك فقط فى أضيق الحدود وأندرها (ويمكننا مراجعة حالة أو حالتين من البرديات المصورة المزخرفة، كتلك التى تعرف باسم بردية "فرسان أنتينوى" (Jockeys of Antinoe)، أو بعض الأمثلة للكتابات الخطية الجميلة من الأقاليم)، فإنه بالرغم من ذلك، قد أضاف فصلاً جديدًا إلى تاريخ الكتابة اليونانية القديمة، وأن ما يعنينا هنا هو محتوى تلك البرديات ومضمونها، وأن هذا التراث لهو جديد علينا، من حيث إن المعلومات التى نستقيها من البردى لا تكون، فى الغالب، جديدة فقط، بل إنها أيضًا من

نوع جديد. **إننا سنناقش هنا فى هذه الدراسة ما تشتمل عليه تلك الخبرة لهذا النوع الجديد من مصادر معلوماتنا حول التاريخ القديم.**

وكتقديم لموضوعنا، نقول إننا نستطيع سرد القليل حول مادة البردى.

كانت مصر تصنع البردى من لبابة نبات المستنقعات، والذى يحمل ذلك الاسم، وكان ينمو بكثرة فى أحراش الدلتا، وذلك قبل غزو الإسكندر الأكبر لمصر بعدة قرون، ذلك الغزو الذى جعل اليونانيين أسياداً وسادة فى ذاك البلد. وكان المصريون - بفضل مهارتهم ودقة صناعتهم له - قد جعلوا منه أفضل مادة معروفة للكتابة. ولم يعرف فى أى وقت من الأوقات - فى العالم القديم - أن تم إعداد البردى لأغراض الكتابة عليه خارج مصر. وفى خلال العصر الكلاسيكى[٨] فى اليونان، كان البردى يستخدم بشكل عام، ولكنه لم يكن يستخدم بالدرجة نفسها من رخص سعره وملاءمة نوعه، كما كان فى مصر، وهذه حقيقية. إن الآداب والعلوم لم تستطع أن تتطور كما فعل البردى، أو-على الأقل- فقد كان انتشارها واستمرارها يواجه صعوبات أكبر. لقد أمدت مصر كل الإمبراطورية الرومانية بالبردى: من حائط هادريان غرباً، وحتى نهر الفرات شرقاً، ومن نهر الدانوب شمالاً، وحتى الشلال الأول جنوباً؛ وكان طبيعيًا أن يستخدم إرينايوس (Irenaeus) البردى فى بلاد الغال (Gallia) كما كان يستخدمه تمامًا أوريجين[٩] (Origen) فى الإسكندرية. وقد كان آخر استخدام له فى عهد المستشار البابا فيكتور الثانى (Pope Victor) عام ١٠٥٧م. وكنا لا نعرف ما إذا كان ذاك البردى مصريًا، أو أنه مستورد حينذاك. **وكما قام البردى بخدمة جليلة فى تكوين الثقافة الكلاسيكية ونقلها**، فإنه كان، خلال مائة سنة الأخيرة من ازدهاره، بمثابة وسيلة تجديد وزيادة تراث اليونان وروما. إن قصة البردى لم تنته عند هذا الحد؛ ذلك لأنه، كل عام، يتم نشر نصوص جديدة، ولأن موضوعات تلك النصوص وتاريخها لا يقل أهمية عن أعدادها. قبل الاكتشافات البردية فى مصر، كانت معلوماتنا محدودة عن تلك المادة، أى البردى، وبالتالى شكله وطريقة صناعته والوسائل التى تم انتقال الأدب بواسطتها. كانت تلك المعلومات مرتبطة بعدد قليل من برديات القرن السادس الميلادى، وكذلك بمجموعة وثائق بابال ورافينا (Papal and Ravenna) القليلة العدد والمتأخرة التاريخ، فضلا عن لفائف هيركولانيوم (Herculaneum) التالفة. واليوم فإننا نملك عينات من

الكتابة الأدبية وكذلك الوثائقية، وذلك فى تسلسل تاريخى. إذا لم يكن متصلاً، فإنه ينقصه بعض الفجوات القليلة الخطيرة، منذ نهايات القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن الثامن الميلادى. إن بأيدينا - الآن - بعض الشذرات من لفافة تدعى فايدو (Phaedo) كتبت بعد أقل من مائة عام من وفاة أفلاطون، وكذلك بردية شيشيرون، والتى تؤرخ، ربما، قبل العصر المسيحى، فكلاهما يمكن أن يكون بقايا من لفافة بردية معاصرة لبوليبيوس (Polybios) [١٠].

عند هذا الحد، يجب أن نشير إلى ما يمكن أن نسميه تراث مصر المباشر الموجه إلى الغرب، الذى اتضحت شخصيته أكثر بفضل الاكتشافات البردية. وكان من المتوقع أن يكون البلد، الذى أنتج هذه المادة، أى البردى، قد ترك بصمات واضحة على شكل وتنظيم الكتاب القديم، ولنضرب لذلك مثلا: إنه من المحتمل أن يكون تطور الكراسة، وهى - فى حد ذاتها - اشتقاق إيطالى من الأصل اليونانى للوح الخشبى، إلى شكل منظم فى ثوب لفافة بردية متصلة، قد تم فى مصر. وكذلك فإننا ندين لمصر اليونانية (Ptolemaiké)[١١]، ليس فقط بأول مكتبة عامة ضخمة، بل أيضاً بالتطور الحيوى الهائل فى صناعة الكتاب الحديث. فى هذه الأمور، فإن مصر تعنى الإسكندرية [١٢]، وإلى الإسكندرية يرجع الفضل فى أنها حفظت لأوروبا نصوص العصور الوسطى، بالرغم من أن الدليل البردى، على قيمته، قليل ونادر. ولنترك هذا جانباً عندما نسمى عطاء مصر هذا - السابق الذكر - إلى العالم، بأنه تراث، فإن ذلك، فى إحدى معانيه، هو تسمية خاطئة واتجاه متناقض مع نفسه؛ لأنه لم يحدث أن كان الدارس - لموضوع ما - أقل معرفة بموضوعه، ولا كان الباحث، عن شىء، أكثر حظاً، مما يحدث الآن لدراسى وباحثى علم البردى. إن الغالبية العظمى من البردى اليونانى قد تم الكشف عنها من بين آثار المدن والقرى المتهدمة فى مصر العليا وتلال الزبالة المهجورة الملقاة فى الصحراء عندما تغير نظام الرى فى مصر إبان العصر البيزنطى والحكم العربى لهذا البلد. وكانت الصدفة وحدها هى التى جعلت من الباحث إنساناً محظوظاً، عندما عثر على بعض أوراق البردى العائلية أو بعض أوراق أرشيف رسمية، كان صاحبها قد خزنها بعناية فى جرة أو صندوق (لقد استحق منا ديوسكوروس (Dioskouros) الأفروديتى[١٣] شكراً مضاعفاً ؛ لأنه اختار أن يثبت أوراقه البردية فى

أوراق قائمة (مجموعة ميناندر)[١٤] ، كما أن القليل من أوراق البردى الأدبية قد تم العثور عليها في مقابر، مثلما حدث مع بعض أشعار هومر[١٥] التى تم الكشف عنها فى مقابر الهوارة بالفيوم ؛ حيث وجدت أسفل رأس إحدى المومياوات لبنت شابة. وقد كان شائعًا وضع أدوات كثيرة دنيوية مع الميت، وربما وضع كتاب معه (يقصد به لفائف البردى) – بالنسبة لليونانيين – بمثابة رفيق عزيز شأنه فى ذلك شأن أى شىء آخر. وفى مقبرة منطقة درفينى (Dervéni) بالقرب من سالونيكى[١٦] ، تم العثور على بقايا لفافة بردية، تؤرخ بنهايات القرن الرابع ق. م. وهى حالة فريدة لاكتشاف بردية يونانية فى أرض اليونان، البلد الأم ذاتها (Metropolitan Greece) [١٧] . إن نص البردية عبارة عن تعليق بلاغى حول الشعر الأورفى[١٨]، ولا شك أن صاحب البردية كان من معتنقى تلك الأفكار، كما أن وجود مثل تلك البردية وذاك النص، فى مقبرة، لا يحتاج إلى تفسير، ولا نص هومر السابق كذلك، **ولكن هل يمكن أن يكون نشيد إيسوكراتيس (Isokrátes) حول واجبات حاكم من الحكام، يوجه كلامه إلى المدعو نيكوكليس (Nekokles) وقد تم الكشف عنه بين رجلى مومياء فى بردية تؤرخ بالقرن الرابع الميلادى هو الاختيار الأول لأحد الأفراد عند وفاته ليكون معه فى رحلته إلى العالم الآخر؟** إننا يمكن أن نميل إلى الاعتقاد بأن هذه البردية واكتشافات بردية أخرى (مثل بردية تيموثيوس (Timotheus ، والتى كانت غير كاملة منذ لحظة دفنها مع صاحبها) كانت توضع فى المقبرة ليس لما لها من فائدة مرجوة بالنسبة **لصاحب المقبرة أو للمتوفى، ولكنها وضعت جريًا وراء تقليد المصريين القدماء كعادتهم عند دفن موتاهم عندما كان الأموات يصحبون غالبًا فقرات – لا تتغير– من كتاب الموتى** (Book of the Dead) [١٩]، ولكن هذا الإجراء من قبل اليونانيين ليس إلا فهمًا ناقصًا لعادة من عادات المصريين.

وحتى وقت قريب جداً كانت الاكتشافات المماثلة هى النشاذ الواضح للقاعدة العامة. ففى الثلاثين عاما الماضية جاءت إلى النور سلسلة من الاكتشافات المذهلة لنصوص ليست مبعثرة أو مهملة، بل – على العكس – وجدت محفوظة بعناية فى جرار من الفخار. وغالبية تلك النصوص البردية مسيحية، إلا فيما ندر ندرة شديدة، أى ماعدا بعض الحالات القليلة جداً، أو أنها كانت دينية المضمون، بالرغم من كونها ناقصة، فإنها تعتبر أهم بكثير من غالبية الكشف. ولا يمكن أن نحيد عن الصواب إذا ما ربطنا تلك

الاكتشافات بعادة اليهـود فى دفــن المخطوطات المقدسـة، التى ليسوا بحاجة إليها، أو حتى حفظها فى حجـرة مظلمة تعرف اسـم جنيزا (Geniza). ولكننا فى مصـر، ربما يمكننا أن نذكر أشياء أخرى، حول تلك النصوص البردية المهمة الموجودة فى حـوزة م. بودمـر (M. Bodmer) فى جـينيف، وكـذلك حـول مكتـبـة المعلومـات عند شينوبوسكيون (Chenoboskion) التى تضم برديات نجع حمادى، ومما تحتويه من (١٣) ثلاث عشرة مجموعة تؤرخ بالقرن السابع أو الخامس الميلادى: منها إحدى عشرة مجموعة كاملة بأربطتها الجلدية الأصلية، ومجموعتان على هيئة شذرات متفرقة، ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من بردياتنا (مثل تلك البرديات المكتشفة فى أوكسيرنخوس وأرسينوى) كانت ملقاة مهملة كما لو كانت أوراقًا قذرة ، وربما كان ذلك هو السبب وراء كونها – غالبًا – ممزقة ومتهرئة. **إن أغرب تحول لوظيفة البردى، هو أن يصبح غطاء أو مادة حشو للمومياوات، سواء مومياوات الرجال أو التماسيح**، والتى جاء من أحدها أقدم شذرات بردية لمخطوط من الإنجيل، والتى عرفت باسم بردية "مانشستر" للديوتيرونومى (Deuteronomy)، والتى كانت مغطاة بالصمغ وملفوفة ببعض فقرات من الكتاب الأول من الإلياذة. وهذا مثال طيب للانتشار الثقافى وذيوع الأدب فى القرن الثانى ق. م.، على أفضل صورة يمكن أن يتمناها المرء. **إننا يجب أن نشير – هنا – إلى أن بقاء البردى واستمراره مرهون – بشكل عام – بعاملين اثنين: توقف المطر وعدم هطوله، وكذلك ضرورة ارتفاع مستوى الأرض عن مستوى فيضان النيل**، ولهذا فإن غالبية بردياتنا جاءت من مصر، جنوب القاهرة الحديثة. ومنذ ذاك التاريخ، كما هو الحال الآن، **كانت الدلتا – من الناحية الاقتصادية – أهم جزء من أراضى مصر، بينما الإسكندرية بمثابة رأس النافورة لحياة مصر الفكرية والفنية**. ولما كانت تلك المدينة يونانية، يجب علينا أن نكون مستعدين لنتقبل بعض التلميحات والتحيز الإقليمى فى نصوص بردياتنا، سواء أكانت تلك أدبية أم وثائقية.

والحق يقال إن البردى ذو أهمية عظمى وفريدة للمؤرخ، وإن معلوماتنا عن العالم القديم لا تزال أولية، وستظل هكذا، اعتمادًا على مصادرنا الأدبية، كما أنه ليس من وظيفة تلك المصادر أن تقدم المادة الخام للتاريخ؛ ذلك لأننا لا يمكننا أن نخمن ماذا كانت الأسس التى تم على هداها اختيار الموضوعات، كما لا يمكننا أن نعرف متى

يحدث ذلك، وإلا لأمكننا أن نشاركهم عملهم، أى عمل أصحاب البرديات من التحيز. وهكذا، فإننا إذا أردنا أن نحرر أنفسنا من التحيز الأرستقراطى والسياسى (وهى اتجاهات عامة وشائعة لدى معظم المؤرخين القدماء)، وحاولنا دراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية، وأن ننظر إلى الحكومة من موقع المحكوم ومن خلال وجهة نظره هو، فإن هذه الوثائق اليومية المبعثرة، والمتعبة أحيانًا، ليست ذات قيمة. ولكى نختار برديتين أو موضوعين من كل تلك الموضوعات العديدة التى تناولها "البردى الوثائقى" فإننا نلاحظ، بطريقة لم تكن ممكنة من قبل، ماذا كانت تعنى نشأة مستعمرة يونانية، خارج اليونان، وإلى أى حد استطاع المستوطن الغريب، أى المهاجر إلى مصر، أن يكيف نفسه مع الظروف المحلية المحيطة به، وماذا كانت تأثيرات ذلك الغزو الأجنبى على الحياة الاجتماعية والسياسية فى البلاد. عندئذ نستطيع أن نفهم حقيقة وأهداف الإجراء الفعلى للإدارة الرومانية فى مصر، ووسائلها وروحها.

وقبل أن نحاول تحديد نوع العطاء الذى قدمه البردى للدراسات التاريخية، فإننا يجب أن نقول شيئًا هو - بالتأكيد - أهم نتائج الاكتشافات والإضافات للآداب اليونانية. بعد غزوة الإسكندر الأكبر لمصر، عندما جاء إلى مصر طوفان يونانى، من كل ركن من أركان العالم اليونانى، فى شكل جنود، ورجال أعمال، وفلاحين، وإداريين، فإنهم حملوا معهم أدبهم، عندئذ كان اليونانيون شعبًا مثقفًا، متأدبًا، بمعنى أن أدب ماضيهم وتراثهم قد أصبح - بالنسبة إليهم - جزءًا حيويًا وأساسيًا من وجودهم ذاته، وذلك عندما كان كل شىء مميز للحضارة الكلاسيكية قد اختفى أو قد تغير كله تقريبًا، بسبب الاعتراف بوجود الإمبراطوريات الجديدة لخلفاء الإسكندر، بينما نجد أن تعليمهم[٢٠] وآدابهم ومعاهد التربية عندهم، قد بقيت على حالها.

البردى تحت حكم البطالمة[٢١]

وفى مصر ، كمملكة مستقلة بذاتها ، لم تكن هناك محاولة - من أى نوع - لكى يتم الحفاظ على نقاء نوع السكان ، فإنه لكى تكون يونانيًا فى الحال ، فإن ذلك كان يعنى أن تتحدث اللغة اليونانية، وأن تتعلم تعليمًا يونانيًا . ومن هنا فإنه لا غرابة فى أن يتم العثور فى مصر على مثل تلك الأعداد الكبيرة من البرديات اليونانية الأدبية ، وأن تكون أقدم بردية عثر عليها فى مصر هى بردية " برساى " (Persai) لصاحبها (Timotheus)؛ ذلك العمل الذى يمثل ذلك التقعر والتفلسف، لابد من أنه نتاج أقدم مرحلة للتواجد اليونانى فى مصر ، مما يعكس التنوع اللانهائى واللامحدود للنصوص الأدبية . إن كل فرع من فروع الأدب اليونانى منذ هومر وهيسيود حتى الشعراء الغنائيين وكتاب الهجاء (الساتيريست)، ومن شعراء الكوميديا القديمة والحديثة وحتى الروائيين ، قد عثرنا له فى مصر - برغم صغر شذراته - على أجزاء كانت تُقرأ فى ذلك البلد . وكان للشاعر ميناندر نصيب الأسد ،لقد عرفناه - ليس فقط فى مجموعة القاهرة (Cairo Codex) ، والتى كان يمتلكها شخص يدعى ديوسكوروس (Dioskouros) وكتب ناشره - فى إحدى محاولاته وقراءته حول (Muse) [٢٢] أنه لا يملك - فى أيه لحظة - تحكم أو سيطرة الحقيقة على تفكيره ، أو حنكته أو قواعد لغته ، و أوزانه أو حتى معانيه). ولكن أيضًا مؤخرًا جدًا ، عرفناه من خلال مسرحية كاملة ، هى مسرحية ديسكولوس (Dyscolus) [٢٣]، وهى التى تم العثور عليها فى صورة نصوص بردية ، تؤرخ بنهايات القرن الثالث الميلادى . فشكرًا لهذه البرديات ، الأصغر منها كذلك ؛ لأن ميناندر لم يعد معروفًا بعد ذلك من خلال مرآة الكوميديا الرومانية ،ولكنه لابد من الاعتراف به كمؤلف مسرحى قادر ومتمكن من أدواته الدرامية القوية وتشخيصه الرقيق ، وكذلك يجب علينا أن نعترف بأن هذه المسرحية ، التى تسمى ، أيضًا "كورمودجيون " (Curmudgeon)، هى مسرحية قديمة للمؤلف ببلاغة قليلة فى أسلوبها ،

ورؤية محدودة فى وصف شخصيتها النسائية ،والتى تفوق فيها ميناندر فيما بعد ، وهى – فى آخر الأمر– قد خيبت آمال الكثيرين من عشاق فنه .

ومن بين الاكتشافات البردية الأخرى ، التى هى جديرة بالذكر بفضل قيمتها الأدبية وحجمها ، أغاني باكخيليديس (Bacchylides) ، وهو شاعر لم يكن معروفًا من قبل على الإطلاق ، وكذلك برديات الدستور الآثينى" لأرسطو " ومسرحية " سوفوكليس " إخنيوتاى " (Ichneutae) ، وهى الدراما الساتيرية[٢٤] الوحيدة التى بقيت لهذا المؤلف المسرحى العظيم ، فضلاً عن العمل المسمى باسم هيللينيكا أو كسيرنخا (TáOxyrenchia) ربما لصاحبها المدعو " إفوروس" (Ephoros) ، بالإضافة إلى قصائد للشاعرة " ساپفو " (Sapfo) والشاعر " ألكايوس " (Alkaios) وكورينا (Corinna) وكتاب غنائيين آخرين ،وأخيراً كتابات وأشعار السكندرى " كاليماخوس" (Kallímakhos). والأخير لكونه شاعراً ينتمى إلى الإسكندرية ، فإنه قد ظهر فى بلده مصر ،وظهر له كشف بردى لأجزاء مهمة من عمله (إيامبى وآيتيا) (I?mbi Kai Aitia) وهى أنماط لعمله، والذى لم يعثر على أجزاء كبيرة منه . ولكن ليس من بين كتاب الإسكندرية – فى عصر الهيللينستى [٢٥] – من كان أكثر تاثيراً من «هيروندداس» (Herondas) وميمياته (Mimes) التى تعتبر أصدق تصور لحياة مدينة الإسكندرية ،وقد نقله لنا بقوة وواقعية وتفصيل غالب للجانب القاتم منها . وإن هذه الميميات تجمع بين قوة التشخيص الحية والشكل المتقعر الراقى والقدرة الفنية الفائقة . وهناك واحدة من أنجح ميمياته وهى التى تسمى " مدرس المدرسة " ، وتقدم تعليقًا جيداً على النصوص المدرسية ، والتى هى موجودة كذلك ضمن أوراق البردى المكتشفة . وقد تم العثور على كتاب مدرسى ، من تلك النصوص المدرسية ،ويؤرخ تقريبًا بالفترة ذاتها ،فى الفيوم (وربما كان أحد الكتب التى كان ذاك المدرس يمليها على فصله) ، وهو كتاب يمثل نموذجًا ممتعًا لكتب مماثلة ، بالضبط كما أجبر والد ابنه – فى الميمية نفسها – على أن يتهجى اسمًا من أسماء الأعلام ،فأخطأ الابن فيه خطأ ظاهراً [٢٦]. وهكذا فإن الكتاب المدرسى المذكور يحتوى على قوائم لأسماء الأعلام ،التى اختبر بعضها بغرض تقويم اللسان ونطقه ، وعندما يطلب من الابن أن يستطيع أن يذهب أبعد من الشعر ، وذلك بهدف تثقيف أسرته ، فإنه لا يستطيع أن يذهب أبعد من الكلمتين الأوليين من القصيدة ، ثم يتلعثم

عند ذاك – هنا تقول أمه : " إنه حتى جدته العجوز الأمية ، غير المتعلمة ، كان بإمكانها أن تفعل أفضل منه " ؛ مما يؤكد لنا بصورة كافية أن الكتاب المدرسى كان يحوى قطعتين من «يوريبيدس» (Euripídes)، وكان على التلميذ ، دون شك ، أن ينسخها ، وأن يحفظها عن ظهر قلب . وتنتهى ميمية هيرونداس آنفة الذكر بأن يُضرب تلميذ المدرسة ضربًا مبرحًا . وإن ذلك لم يأت فى ذكره نص فى هذه الميمية بالتحديد ، ولكن الشعار أو التحذير الذى يقول : "**اعمل بجد ، يا ولد ، وإلا ستُضرب** " ، قد وجدناه منسوخًا – ست مرات – على قطعة من البردى ، كما لو كان ذلك فرضًا على التلميذ ، وهذا وحده يخبرنا بالقصة ذاتها .

إننا لا ندين بنصوص قليلة لعمل تلاميذ المدارس المصريين (٢٧) ، والذى يجلب عليهم حسدنا ، بالرغم من أننا ربما كنا نود ألا يكون هومر هو الوجبة الأساسية الثابتة فى قائمة غذائهم الثقافى . ولقد كانت الأستراكا(٢٨) تستخدم فى المدارس بصفة دائمة ، نظرًا لأنها كانت أرخص مواد الكتابة طالما أن عملية الإمداد بقطع الفخار المكسورة ليس لها نهاية ، وهكذا فإننا ندين لهذا المصدر بمعرفتنا لقصيدة غير معروفة للشاعرة " سابفو " (Sapfo) . وتشير أخطاء الهجاء على الأوستراكا وكذلك يد الكاتب المرتعشة ، المجهولة ، إلى أن الناسخ لم يكن لديه فكرة كاملة أو لم يكن متمكنًا تمامًا مما يكتب .

وتعتبر قصيدة سابفو (آنفة الذكر) دعوة لأصدقاء الشاعرة لكى يحضروا طقسًا بهيجًا مهيبًا كانت «أفروديتى» (Aphrodíté) قد دعيت إليه بالتوسل والابتهال : " **حيث تكون خميلة من أشجار التفاح والمعابد هناك تفوح برائحة اللبان ، وحيث يترقرق الماء أيضًا هناك ، ويندفع خلال أغصان أشجار التفاح الرئيسية ، وتظلل كل المكان أشجار الورد ، ويتلصص النوم العميق من أوراق الشجر الراقصة ، وهناك المروج حيث مراعى الخيول الغنية بالعشب وأزهار الربيع . وكم هى لذيذة رائحة الشبت . فإلى هنا تعالى ، يامليكتى أفروديتى ، واسكُبى شراب النكتار الممزوج فى أقداح من ذهب ، وذلك فى الاحتفال الأنيق ، الغنى بما لذ و طاب".**

بين هذا المنظر وبين أرض مصر الجافة بون شاسع ،ولكن وجود مثل هذا النص فى مصر على هذه الصورة المتواضعة ،بل المدنية جداً لهو فى هذه الحالة ،معيار ودليل على قوة الروح الهيللينية – فى بلاد الفراعنة – وتفسير لوجودها .

هذه بعض نماذج قليلة لحالات مهمة وفوائد جمة ندين بها لعلم البردى ،وليس هناك متسع لوصف تفصيلى لها ؛ لأن ذلك سيأخذنا بعيداً عن حدود تلك الدراسة المختصرة وهدفها . إن غالبية الاكتشافات البردية صغيرة الحجم ،ولما كانت تلك البرديات تتمزق وتقع على الأرض فإننا نفقد صنوفًا من الأسطر ، ونجد صنوفًا أخرى مبتورة ،وبالتالى فإن القليل منها هو السليم والمكتمل ،كما إنه حتى الشذرة الضئيلة ربما تساعدنا على استكمال القراءة لقطعة بردية بفترة معاصرة ، فى ترميم وإصلاح بردية تسجل خطاباً لليسياس (Lysias)، كما أكدت ما جاء فى بعض المواطن ،ذات القيمة الأنثربولوجية ،حول الشاعر الكوميدى «ثيويميوس» (Theópompos)، كما تؤرخ ، للمرة الأولى ، أن توضع بعض الأسطر للمؤرخ «إفوروس» (Ephoros) فى مكانها الصحيح من متن تاريخه ،وكان كل ذلك من خلال (٢٥) خمسة وعشرين بيتًا ناقصًا . ولنأخذ لذلك مثلين من النصوص الدرامية ،والتى تعتبر جوهرية إلى حد ما ،وإن كانت صغيرة الحجم : الأول ، ورقة بردية واحدة ، فى برلين ،من مسرحية « الكريتيين » (Krétai) ، للشاعر المسرحى يوريبيديس . وقد أكمل لنا اعتراف " باسيفاى " [٢٩] ، ذلك الاعتراف البليغ والمؤثر لجرائمها . أما المثل الثانى فهو عبارة عن بردية من أوكسيرنخوس ، نعرف منها الحبكة الدرامية لكوميديا " ديونيس ألكساندروس " (Dionys Alexandros)، لصاحبها كراتينس[٣٠] ، ومعها تفسير إضافى بأن هذه المسرحية كانت ضربة موجهة لحاكم أثينا «بيريكليس»[٣١] (Periklés) . إن ذلك لا يعنى أن الدراما كانت لونًا مفضلاً بصفة خاصة . لقد كان نصيب كل فروع الأدب اليونانى على درجة مماثلة من التفشيل والاهتمام . وفى الواقع ، فإنه فى بعض الأوقات ،نجد بعض الأعمال على قيمه عناوين بعض الأعمال ،مثل " الأعمال الكاملة لبندار" وأخرى تحمل عنوان " ميميات سوفرون النسائية " ، ومع ذلك فإنه يؤكد أن الكتاب الذى أخذت منه تلك الأعمال كان لا يزال شائع الاستخدام فى مصر الرومانية . وبناء على ذلك ، ربما تكون هناك بعض أجزاء منه لا تزال ملقاة فى الرمال (disiecta membra) تنتظر حظها فى الكشف عنها .

تقييم عام لدور البردى التاريخى[٣٢]

إن فن أو علم نقد النصوص هو فرع دراسى آخر ، يستفيد من الاكتشافات البردية . وإن أكثر من نصف النصوص الأدبية تقريبًا ، والتى تم الكشف عنها فى مصر ، ينتمى إلى أعمال أدبية ، بالفعل ، طويلة (*) . و مع وجود بعض الحالات القليلة جدًا ، والتى تشذ عما سبق ، فإنها تعتبر أقدم بكثير - تاريخيًا - من أقدم مخطوط لدينا فى العصور الوسطى [ذلك لأن الجزء الأكبر من قصة حملة قورش : (Kyropaideia) "كيروپايديا" للمؤرخ كسينوفون (Xenophón)؛ إذ نملك له مخطوطًا لا يؤرخ بأقدم من القرن الثانى عشر ، بينما أقدم شذراته بردية له تؤرخ بالقرن الثانى] وكذا عدة شذرات عامة فإن هذه النصوص كانت قد نسخت قبل أن تمتلكها الأسر وتتوزع بينها المخطوطات - طالما أنها بعيدة عن تراثها المشترك العام للمخطوطات ، ويصبح غالبًا ذا قيمة خاصة .

والبردى ككل ، وبصفة عامة منذ القرن الثانى قبل الميلاد وما تلاه ، يساند ويعضد عملية التوثيق الشامل الجامع (Consensus codicum) إلاَّ فى حالة ما إذا حدثت تغيرات جذرية عميقة أو عمليات فساد قد تكون تمت فى تاريخ أقدم حتى من الوثائق البردية . كما أن شرود خيال الباحثين فى رحلات ذهنية جامحة فى أثناء عملية ترقيع (استكمال الأجزاء الناقصة فى قراءة البرديات تقابل باستحسان قليل وقبول محدود على نطاق الأفراد ، وقليل من تلك التصويبات الحالمة ، على يد علماء البردى) ، قد لقى تأكيداً فى حالات نادرة جداً [وهناك مثل لحالة استثناء واحدة ، وقد جرت العادة على ذكره ،

(*) وأفضل دراسة حول هذا الموضوع ، والتى أدين لها بالكثير كانت ولا تزال لصاحبها P.Grenfell, Journal of Hellenic Studies, 39 (1919) pp.16-36. (المؤلف) .

هـو تصحيـح العلامة «ڤيلاموڤيتز» (Wilamovitz) للصياغة ، التى لا تحمل أى معنى (Karpon eis athanaton) عند «ديوجينيس لايرتيوس»[٣٣] (Diogenes laertius) ، وذلك إلى صياغة أخرى هى كالتالى : (Karpón isathánaton) [٣٤] ، وهى الصياغة ذاتها التى تأكد شكلها – فيما بعد – فى بردية «ديديموس» (Didymus) . ومن وجهة النظـر الكليـة ، أو بصفة عامة ، فإن تأثير البردى يعتمد على المعالجة العاقلة المتزنة والحذرة جداً للنصوص ، وللمرة الثانية ، فقد تعلمنا أن تقدير قيمة مخطوط من المخطوطات لا يجب أن تتركز فى تاريخ أقدميته ؛ لأنه – أولاً – توجد هناك بعض البرديات البطلميـة القديمـة كانت قد كُتبت بدون اهتمـام أو عناية ،وفى بعض الأحيان تكون أسوأ من كونها أهملت ثم ثانيًا – وهذا هو الأهم – أنه من غير الشائع ، بأى حال من الأحوال ، أن تتمشى بردية من البرديات مع قراءة لإحدى الاحتمالات المعروفة باسم (deteriores) ضد مخطوط أقدم ، وإذا ما قلنا إن البرديات تدعم ما جاء قبلها وما هو أقدم منها أكثر مما تدعم وجهات النظر الاحتمالية التالفة (deteriores) فإن ذلك حق وصحيح . وما هو ضرورى – أيضًا – هو أنها يجب أن تدعم ما يجيء بعدها على طول الخط . وهكذا ، فبالرغم من أن النص البردى يمكن ألا يكون سليمًا تمامًا ، كما هو الحال فى أفضل مخطوطات العصور الوسطى ، فإن هذا الشكل الذى يكون عليه من إبراز لبعض المواطن وتجاهل للبعض الآخـر ، أى أن تلك العملية الاختيارية ، بالصدفة البحتة (Leclecticism)، كان لها تأثير واضح على فن (أو علم) نقد النصوص .

إن الرأى القائل بأن وظيفة الناقد كانت هى أن يجد – أينما تيسر له ذلك – أفضل (وعمومًا كانت أقدم) المخطوطات للمؤلف الذى يدرسه ، وأن يرجع إليه بعض أعماله ، كلما أمكن ذلك – قد واجهت نكسة خطيرة . ولما كان مبدأ الاختيار والتفضيل التلقائى (من جهة حالة البردية عند الكشف عنها) يفرض على الناقد ضرورة الاعتماد الأكبر على معلوماته اللغوية ، وكذلك بمؤلف البردية ، وفضلاً عن اعتماده على إحساسه العام ، بصورة أقل على الضوابط والمعايير الخارجية ، فإن التغيير يصبح ذا فائدة عظمى من كل الوجوه .

والحقيقة أن هناك بعضًا من أقدم النصوص البردية شاذة المضمون ، وربما تكون سببًا فى أن نتشكك فى سلامة تراثنا ، بوجه عام ، ولكننا يجب أن نلاحظ أن هذه

النصـوص ، **نسبيًا قليلة العدد** ، وأنها – فى معظمها – تأتى من قرية أو قريتين ، وبالتالى يمكن النظر إليها على أنها نصوص محلية أو إقليمية " ولا تعبر بالضرورة عن أفضل ما كان موجودًا آنذاك . وفوق ذلك ،فإن عددًا كبيرًا منها عبارة عن مختارات ، وتلك المختارات هى –فى كل العصور – تخريب للنصوص وأعمال رديئة السمعة . وأخيرًا ،فإنه عندما يقال كل ذلك ،نجد أن هناك اختلافًا حقيقيًا بين النصوص القديمة والنصوص الحديثة التاريخ ، وأن تفسير ذلك التغير هو مقابلة فى الإسكندرية .

وجدير بالملاحظة أن كثيرًا من البرديات الأدبية المهمة تم الكشف عنها فى أوكسيرناخوس ، تلك المدينة النائية – فى الأقاليم – والتى كانت لها ، طيلة فترات عديدة من تاريخها ، علاقات وطيدة مع الإسكندرية.

إن التأثير العميق الذى مارسه علماء الموسيون (Mouseion) ، ومكتبة الإسكندرية على إعادة ترتيب النصوص ، وذلك على أصالة الأعمال الكلاسيكية،كان معروفًا دائمًا . والآن فإن البردى ، وبرديات هومر – على وجه الخصوص – تسمح لنا أن نلاحظ وندرك حجم هذا التأثير ودوره ؛ ففى البرديات القديمة نجد حذفًا ملحوظًا ، ليس فقط لمفردات وكلمات،بل لأسطر كاملة ، فضلاً عن إضافة سطور أخرى (بالرغم من أن تلك الأبيات الجديدة – كما جرت العادة – ما هى إلا تكرار لأجزاء أخرى من القصائد ولا تضيف أو تنقص من مضمونها ومحتواها . وفى بردية من برديات الأوديسيا [٣٥] نجد أن هناك تسعة (٩) أبيات إضافية جديدة من إجمالى البردية السبعين (٧٠) بيتًا . والقول بأن هذا النص الشاذ ، الغريب ، هو أحط وأدنى من النص الأصلى الموروث من التراث ، قول حق ، ويبدو ذلك جليًا ، وكما أنه من الواضح كذلك أن نص هومر – فى القرن الثالث ق.م .– كان فى حالة خلط واضطراب وتداخل لأجزائه فى بعضها البعض ، وذلك إبان حكم البطالمة لمصر ، ولكنه بعد حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ، فإن كل هذه النصوص الخارجة المضمون والفرعية الموضوعات كانت أقرب إلى الاختفاء التام ،وبعد ذلك بكثير نجد أن روايات هومر ،والتى تصل إلى عدة مئات ، ونصوصها تتناول الأساسيات جميعها – دونما خروج على موضوعاتها – لدرجة أن مخطوطات العصور الوسطى كانت أقرب – فى الحقيقة – إلى البرديات الهومرية أكثر من أية حالة أخرى لأى كاتب آخر . والواقع أن برديات هومر من العصر الرومانى

ليست إلا شاهداً ودليلاً على شعبية ذلك الشاعر اليونانى آنذاك ، كما أنه ليس هناك أدنى شك فى أن ذلك يرجع إلى مهارة ودقة علماء الإسكندرية الذين أحسنوا عملهم .

ويمكننا أن نضع أيدينا أيضًا - وإن كان لدرجة محدودة - على خطوات تشكيل التراث الكلاسيكى وتكوينه ، كما جاءت فى البردى ، وهى حصيلة عمل نقاد وعلماء الإسكندرية بالرغم من أنهم - أصلاً - لم يضعوا فى حسابهم مثل تلك الموضوعات (كانت فكرة قبل العصر السكندرى غريبة تمامًا) ، هذا من ناحية ، وكان تكوين وتجميع التراث الكلاسيكى ، من ناحية أخرى ، عملاً من أعمال المدارس ومحافظتها على التراث المدرسى . فى العصر البطلمى (٣٢٣- ٣٠ ق.م)[٣٦] نجد أن الشذرات الأدبية الجديدة تفوق بكثير برديات الكُتَّاب والمؤلفين المعروفين ، بينما فى العصر الرومانى تتساوى الكفتان إلى درجة كبيرة .

أما إذا وصلنا إلى العصر البيزنطى فإن النصوص المشهورة ذات المستوى الأدبى الرفيع هى التى سادت وانتشرت . وليس هناك أى كشف أو دليل أوضح - لتأكيد بعث الروح اليونانية الهيللينية و استمرار تواجد الماضى حتى العصور الوسطى - أكثر من تلك الدراسة حول فيزياء (الطبيعة) لأرسطو ، والتى كتبت بعد الفتح العربى لمصر .

إن الأدب المسيحى قد ازداد ثراءً ، كما حدث مع الآداب الوثنية ، بفضل الاكتشافات المصرية . هنا ، للمرة الثانية ، نجد التنوع ذاته فى كل شىء : فى نوع الأدب ، وفى فتراته ، وفى ملابساته ، جنبًا إلى جنب مع كتب الإنجيل المعترف بها والأعمال السرية (apocryphal)، والقصص و أقوال القديسين ، والرهبان والنساك والأناشيد ، وكل أولئك - سويًا - يقدمون إلينا صورة صادقة عن قراءات وثقافة المجتمع المسيحى فى مصر العليا على الأقل فى العصور المتأخرة ، ويتحول كل ذلك إلى تمائم وتعويذات بردية تعلق حول رقبة حاملها .

ولكن فى الدراسات المسيحية يحتل تاريخ متن الإنجيل مرتبة عظيمة ،ذات أهمية فريدة ،وستظل تلك الدراسات تدين بالكثير للبردى ، حتى ولو تم ذلك ، هناك - مستقبلاً - خلال أعمال جديدة بالمرة ، كما هو الحال الآن ، لدينا شواهد حول متن

الإنجيل الذى تم العثور عليه فى مصر ،وهى أقدم بكثير من تلك التى جاءت من أى مصدر آخر . وهناك اكتشافات حديثة تمكننا من أن نتتبع تاريخ متن الإنجيل وحتى القرن الثانى الميلادى ، وإن أقدم شذرة من الشذرات البردية للعهد الجديد هى تلك القطعة الصغيرة من إنجيل القديس يوحنا والوجود الآن بمكتبة ريلاندز (Rayland's Library)، وأهميتها ، لا ترجع فقط لأننا نستطيع أن نرجع إليها ، إنجيل كان يقرأ فى مصر العليا فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى ،بل لأن نص هذه الشذرة البردية ، بالرغم من الدراسات الإنجيلية الحديثة هو إتمام نشر إحدى عشرة مجموعة من برديات العهد القديم و الجديد ،يرجع تاريخها إلى القرن الثانى وحتى القرن الرابع الميلادى،وغالبيتها فى حوزة المرحوم السير تشستربيتى (Sir Chester Beatty) وإليها يجب أن تُضاف مؤخراً مجموعة أخرى خاصة ،من المخطوطات المسيحية ، هى فى حوزة م.بودمر (M.Bodmer)، بما فى ذلك أعمال أخرى باليونانية والقبطية ومخطوطان قديمان من الإنجيل الرابع ومخطوط واحد من الإنجيل الثالث ، وكما أشار السير هارولد (Sir Harold Bell)، أنه مهما تكن هناك من شكوك ربما تحوم حول تاريخية وأصول كتب العهد الجديد ؛ فمن المحتمل أن يصح القول ، بشكل عام ، إنه لا يوجد مبدأ مسيحى حيوى وأساسى أو قول رئيسى للمسيح ،أو حادثة مركزية فى حياته ، إلا فإنها تعتمد على قراءة جادة فى النصوص لا يرقى إليها أدنى شك "لقد كنا نأمل أن نعثر – من بين الوثائق – على دليل مباشر لانتشار المسيحية ، ولطريقة الحياة فى المجتمعات القديمة ،ولكن البردى لا يسعفنا فى هذا الموضوع ، وربما لأن معتنقى المسيحية آنذاك ، كانوا يخشون – كلما تعرض دينهم للخطر – من أن يقبض عليهم ومعهم دليل مكتوب ، حتى لا يتخذ ذلك شاهداً عليهم ، وكان ذلك سبباً واضحاً ، ومع ذلك ، فإن الصيغة المسيحية المتميزة (Formula) " إلى الرب "in the lord"، توجد فى خطابات عديدة من القرن الثالث الميلادى ،ومن تلك الخطابات ، ما جاء على لسان ولد لأمه ، وهو خطاب به صيغ بلاغية غير عادية : " **إلى أعز الناس لدى ، أمى مارى ، بيساس ، وإليك تحيات كثيرة جداً للرب و قبل كل شىء ، فإنى أدعو الرب ، أبانا ، رب الحقيقة ، وأدعو روح الشفاعة ،بأن يحفظوك ، فى روحك وجسدك وحياتك واهبين لجسدك الصحة ، وحياتك البهجة ، وروحك الحياة الخالدة ،وكلما وجدت أى إنسان**

يأتى صوبى ، تأكدى من أن تكتبى إلىّ عن صحتك ، والتى أسعد عند سماعها . لا تنسى أن ترسلى إلىّ المعطف ، ليحمينى (من برد) إجازة عيد القيامة ، وأرسلى أخى إلىّ أبعث إلى أبى وإلى أخوتى تحياتى، أدعو لك بدوام الصحة " .

وفيما بعد، كما كان يجب أن نتوقع ، فإن الدليل أصبح أكثر تنوعًا وأكثر تفصيلاً ، عندئذ نستطيع فقط أن نرجع إلى أرشيف خطابات ميليتوس (Meletian Letters) التى هى محفوظة فى المتحف البريطانى . إن الأهمية الأكبر للوثائق هى فى إسهامها غير المباشر ، فليست هناك دولة فى العالم القديم أعطتنا كل هذا المادة البشرية والمتنوعة ، التى تطور كل الأشكال المعقدة لواقع الحياة الاجتماعية و الاقتصادية . وبالرغم من أن الكم الأكبر من هذا الدليل البردى يتصل اتصالاً وثيقًا بمصر فقط ، فإنه، إحقاقًا للحق، يجب أن نتذكر أنه عندما كتبت أناجيل العهد الجديد ، وكانت الأراضى المجاورة لمصر وفلسطين خاضعة كولايات تابعة للإمبراطورية الرومانية ، وكانت المنطقتان قد غزاهما الطابع الهيللينى ، بشكل جزئى بينما غالبية السكان ليست هيللينية الأصل أو الثقافة . وكما كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية ولغة رجال الأعمال فى الدولتين (أى مصر وفلسطين) فقد كان الاتصال بينهما سهلاً ، كانت اللغة اليونانية آنذاك تسمى (كوينى : Koiné)، وهى مأخوذة من اللهجة الآثينية لإقليم أتيكا كله ، وإن كانت متأثرة باللهجات الأخرى ، وكانت تلك اللغة (كوينى) هى اللغة الإفرنجية (Lingua Franca) للشرق الرومانى ، بالرغم من أن أجزاء عديدة فى الإمبراطورية الرومانية كانت قد اتخذت لنفسها لهجات محلية . وكانت هناك اختلافات عما هو مكتوب وما هو مسموع فى الدولة الواحدة ، فضلاً عن الاختلاف المبين فى لغة الطبقة المتعلمة من تلك لأنصاف المتعلمين . إن نشر العديد من الوثائق المعاصرة سواء البردية منها أو النقوش قد غير تغيرًا جذريًا الآراء السابقة التى كانت قد استقرت فى أذهان البعض حول اللغة اليونانية المكتوب بها العهد الجديد ، وبصفة خاصة فإن فكرة أن لغته كانت شيئًا خاصًا غريبًا وأنها لاتمت بصلة إلى الأخرى اليونانية ، قد اختفت إلى الأبد .

ويحق القول بأن العنصر السامى (Semitic) يتواجد بقوة فى أجزاء من العهد الجديد ، وكذلك القول بأنه لم يتم الكشف فى مصر عن خطاب مثل رسائل القديس بولس (Epistles of st Paul) وأنه لحقيقى ، وأيضًا أن المفردات الرئيسية والمميزة للدين

الجديد لا يمكن أن تباريها مفردات البردى ، ليس فقط لأن وثائقنا لا تتصل اتصالاً مباشراً بالدين ، إلا فى القليل منها ، ولكن لأن ديانة جديدة سوف تبدأ – بشكل عام – فى تكوين مفرداتها الخاصة بها ، ولأن المسيحية تجنبت ، بذكاء ، استخدامات العبادات الوثنية . ومع هذا ، فإن تلك الكتب والأناجيل كان مفروضاً أنها تخاطب وتدعو جمهوراً عادياً ينطق باليونانية ، ولم يكن هدفها التوجه إلى ، أو مخاطبة ، جمهور اليهود أو المتهودين . ومن هنا ، نجد أن المتشابهات من لغة البردى وكتب العهد الجديد ، قد أخذت توجهًا جديداً لدراسة اللغة اليونانية المكتوبة بها ، وأنه فى حالة الأناجيل – بصفة خاصة – فقد وصل بها الاتجاه الجديد فى دراسة العهد الجديد إلى أنه يجب الاحتكاك بالعالم الذى ظهرت فيه ونشأت منه . وهناك مفردات يونانية – حتى عند أنجيل القديس بولس (والذى يعنى أسلوبه بأنه خلاصة ذهنه هو فى أغلب ما قال) كانت تعبيرات شائعة ولا تخرج عن استخدامات النص الدينى مثل :

orthopódein	-	syneídesis	-	Parousía
المشية المعتدلة		الضمير		التواجد – الحضور

وكذلك كلمة "archipoímén" والتى تعنى " كبير الرعاة " .

والأكثر صعوبة والأخطر من هذا كله ، هو السؤال : إلى أى حد تعكس البرديات ظروف الحياة لتمدنا بخلفية ملائمة للأحداث التى جاء وصفها فى العهد الجديد ؟ هنا ، بالرغم من أننا يجب أن نحمى أنفسنا من التحيز من أن نسارع فنتصيد كل فرصة للتشابه لخدمة تفسيرنا ، فإننا يجب – أيضًا – أن نتذكر أن هذه الأعمال الدينية – كالإنجيل – (والتى لها قواعدها التى لانحيد عنها) كان عليها أن تتلاحم مع ، وتدخل فى الإطار العام للمجتمع الذى كانت تعيش فيه يومها . ومثال واحد على ذلك يجب أن يكون كافيًا للتدليل . عندما حذر الوالى الرومانى سبتميوس فيجيتوس (C.Septimius Vegetus) فى تقرير له ضمن قرارات قانونية لعام ٨٨ ميلادية – المدعى المدنى ووبخه لأنه سجن رجلاً (ربما كان المدين له ، وهو إجراء نجد له فى البردى أمثلة كثيرة) ، وذلك بمبادرة شخصية منه ، فإن ذلك يدعونا أن نتذكر المثال الذى يشبهه عند الخادم المفترى ، الذى لا يرحم ، وعندما نستمر فى قراءة التحذير الرسمى

الصادر من الوالى ، نجده يلخص ما يريد فيقول : " **إنك تستحق الجلد (بسبب هذا التصرف) ... ولكننى سوف أحضر له أمام الجمهور (الناس) ولسوف أظهر نفسى أكثر رحمة منك** " . وفى ذلك مثال شبيه بقصة بيلاتى (Pilate) وباراباس (Barabbas) لا يمكن الفكاك منه أو إنكاره .

وكما تكمل الخطابات المسيحية والنصوص المسيحية الأدبية بعضها بعضًا حيث يتحدا معًا لإعطاء صورة عن الكنيسة فى مصر ، فإن هناك علاقة مثل تلك ، ويمكن أن تتأكد بين البرديات اليونانية الأدبية وبين بعض الوثائق ، حتى فى فترات الضعف وتقهقر استخدام البردى ، فإنها ذات قيمة كبرى للمؤرخ . وتأخذ عبارة مثل "هيللينية الشرق الأدنى" (Hellenization of the Near East) معنى أكثر تحديداً عندما نطبق ذلك على موقع بقرية مصرية صغيرة تسمى «سوكنو يايونيسوس» (Socnopaíou Nésus) والتى تقع على صخرة على شاطئ بحيرة مويريس (Moeris)، وتبعدها عن القرية المجاورة لها عدة أميال من الصحراء أو المياه، ويشرف عليها معبد الإله التمساح "سوبك" (Sobek) . فى هذه القرية تم الكشف عن شذرات لمسرحية "هيكتور بن أستيداماس" (Hector of Astydamas) وكذلك "الاعتراف" لأفلاطون (Plato's Apoloygy) بينما نسمع عن مؤلفين آخرين، من بين كثيرين نعرفهم فى قرية أخرى مجاورة هى كرانيس (Karanis)؛ حيث كان يقرأ كل من «خارينون» (Chariton)، و«يسوكراتيس» (Isocrates)، وعالم النحو اللاتينى «بالايمون» (Palaemon) . وإذا ما وضعنا كل أولئك فى الاعتبار، فسنجد أن النصوص الأدبية تعطينا فكرة طيبة عن حجم ونوعية الأدب الذى كان متاحًا لدى يونانى مصر، كما أن ذلك، أى تلك النصوص البردية، تمثل بارومترًا، لقياس الثقافة الهيللينية فى مصر، والتى كانت قد بدأت فى الأفول تدريجيًا منذ القرن الثالث الميلادى وما بعده.

التعليم فى ضوء أوراق البردى[٣٧]

وحول موضوعات التعليم (ومواده وكذلك وسائله) فإننا نعلم أقل القليل من الوثائق، وهى التى تزودنا بما كنا نطمع أو نتوقع. لقد كان التعليم خاصًا إذا ما استثنينا إنشاء الموسيون (Mouseion) ومكتبة الإسكندرية بمبادرة من الملك بطليموس الأول ، وكذلك ما عرف باسم مناسيا[٣٨] (Gymnasia) فى العصر الرومانى، ولكن يبدو أن البطالمة، على الأرجح، كانوا مهتمين بإنشاء تلك الدور العلمية المسماه "الجمناسيا"، سواء فى المدن أو فى القرى، ومن بين برديات زينون العديدة (Zenon) ، والذى كان وكيل أعمال أبو للونيوس (Apollonios)، وزير مالية[٣٩] مصر فى حكم بطلميوس الثانى نعرف أنه كان على اتصال وثيق بالجمناسيا التى تردد ذكرها كثيرًا فى تلك البرديات. وقد جاء اسم زينون هذا[٤٠] فى إحدى البرديات ؛ حيث يُأخذ رأيه فى بناء جمناسيون فى مدينة فيلادلفيا، حيث يملك أبو للونيوس مزرعته الريفية. وفى مناسبة أخرى، يكتب هو – أى زينون – إلى معلمه هيروكليس (Herokles)، يسأله عما إذا كان ابنه الصغير بالتبنى جديرًا بالفعل بأن يدعه يتعلم عنده وعما إذا كانت إنجازاته الرياضية يمكن أن تسعد زينون، وتجعله يقرر أن يبعده عن كتبه. وكان رد المعلم (المدرب) بأن الولد يحرز تقدمًا ملموسًا فى الرياضة، وكذلك فى دراساته الأخرى – وكل ما يطلبه من زينون هو أن يرسل إليه بعض الأجهزة الأخرى. وفى خطاب آخر يخطر زينون بأن ابنًا آخر له قد حقق نتائج طيبة فى الألعاب البطلمية فى القرية الصغيرة للجزيرة المقدسة (Hiera Nesos) ، كما ينتهز المدرب – الذى يكتب الخطاب بنفسه – الفرصة ويطلب معطفًا يصفه كالتالى – كما جاء فى نفس الخطاب – " **أثقل، ومن صوف أنعم**" حتى يلبسه الولد – ابن زينون – فى أعياد أرسينوى[٤١] (Arsinoeia) وهى أعياد ومباريات رياضية لتخليد ذكرى الملكة البطلمية أرسينوى الثانية هنا ، بالرغم من أن اهتمام زينون كان ماليًا، بلا شك، فإننا نلاحظ أن تنظيم هذه الألعاب (التى كانت تتم تحت إشراف معاهد

الجمناسيا المحلية) كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بعبادة البيت الملكى، وكان واضحًا أنها ليست من الأمور التى يمكن أن تتجاهلها الدوائر الحكومية. وكما أدت الجمناسيا خدمة جليلة لتحقيق أهداف البطالمة، فإننا نسمع - فيما بعد - عن مدينة أوكسيرنخوس (Oxyrhynchus) - التى كان الإمبراطور دوميتيان ((Domitianus) قد أنشأها - وهى تحتفل بالألعاب الكبيولية (Ludus Capitolinus)، وهناك خطاب مطول من مدير معهد التربية، أى مدير الجمناسيوم، ويسمى "الجمناسيارخوس" (Gymnasiarchus) إلى مسئول التربية البدنية طالبًا منه أن يسجل أكبر عدد من المتنافسين، كلما أمكن ذلك ، ولقد كان تصرف المدينة ذاتها - فى أحلك أيامها أواخر القرن الثالث الميلادى - عندما أعفت من الضرائب فئات كثيرة من مواطنيها، ليس بدافع سياسى تمامًا ؛ فهناك قائمة طويلة من المنادين، والطبالين، والشعراء، الذين تميزوا وأثبتوا جدارتهم فى المهرجانات المحلية. وجاءت روما ، وكان طبيعيًا منها أن تفعل هكذا، وقامت بوضع نظام محدد واضح المعالم، بدلاً من تشجيع التعليم اليونانى بطريقة غير رسمية ووقفًا لبعض المناسبات - كما كان ذلك من قبل. ولهذا فإن أوجوستوس (Augustus)، انطلاقًا من رغبته فى تنفيذ مبدئه الرومانى القائل بـ "**فرق تسد** " divide et impera" فراح يشجع العناصر الهيللينية (أو المتأغرقة) [٤٢]، ضد التأثير المصرى الذى عظمت قوته فى أواخر العهد البطلمى. وهكذا فإن أوجوستوس، تمشيًا مع سياسته السابقة الذكر، اعترف رسميًا بمركز "الجمناسيا رخوسس" (أى مدير معهد التربية) كما منح سكان المدن الرئيسية (المتروبوليتس :Metropolites) وعواصم الأقاليم امتيازات مالية، فى حين حرم القرى وأهلها من معاهد التربية (الجمناسيا) وألغاها. وكذلك جعل المدن والمراكز مواطن قوية رئيسية للروح الهيللينية لدرجة أن تلك المدن والمراكز ازدهرت - ثقافيًا - أكثر بكثير من ذى قبل، لقد كان التعليم هو الطريق لتحقيق استقرار وظيفى ومستوى اجتماعى معقول لأى يونانى أو مصرى ، ولهذا نجد مواطنًا (يونانيًا - مصريًا) يدعى "أبيون" (Apion) يكتب من ميسينون (Misenum) [٤٣]، حيث التحق بالأسطول الرومانى ، رسالته التالية إلى أبيه فى الفيوم (Faiyum) :

"عند وصولى إلى ميسينوم، استلمت ٣ (ثلاث) قطع ذهبية من القيصر مقابل مصاريف السفر، وكل شىء يسير على ما يرام . إنى أرجوك يا أبى أن تكتب لى رسالة حتى أعرف - أولاً- كيف حالك وكيف حال أخى- وثانيًا - كما أنى أُقبِّل يدك -

ثالثًا (يستخدم اليونانيون تلك الكلمة بمعنيين "يد" و "خط يد") لأنك قد أحسنت تعليمى، وبفضل الآلهة آمل أن أفلح سريعًا. لقد أرسلت لك صورتى (فى الغالب بالزى الرسمى العسكرى) التى رسمها "أيوكتيمون" (Euctemon) .

وفى خطاب آخر، تم الكشف عنه فى كرانيس[٤٤] (Karanis) فى الإقليم ذاته (أى فى الفيوم) يكتب شخص يدعى أبوليناريوس (Apollinarius) إلى والدته فى منطقة بوسترا (Bostra) [٤٥] . فى الجزيرة العربية، وذلك فى عبارات وألفاظ غاية فى الدفء والعاطفة الجياشة « **إننى حينما أفكر فيك، فإننى لا آكل ولا أشرب، ولكننى أبكى فى الحال**» ، كما أنه يخبرها بأنه « **بينما يتصبب الجنود العاديون عرقًا عند قطع الأحجار، ولكونه ضابط الفرقة (ربما كانت الفرقة السادسة، المسماة، فيراتا** Ferrata**) فإنه يتحرك حولهم دون أن يفعل شيئًا على الإطلاق** » .

إن معظم الخطابات التى تتصل بالتعليم، والتى وصلتنا تؤكد كفاح وكد وتعب ومثابرة الأولاد ؛ فهذا ولد يذهب بعيداً جداً لدرجة أن يزجر والديه ؛ لأنهما لم يأتيا ليريا ما إذا كان مربيه (معلمه) يوليه عناية كافية أو لا ، ولكن هذا المعنى ربما يتضح أكثر عند إطلاعنا على خطاب آخر، والذى تعطى فيه سيدة المنزل أوامرها بأن تعطى بعض أزواج الحمام والدجاج - الذى لا تأكله هى نفسها - وترسل إلى معلم ابنتها، فتقول: "**لعله يعمل معها بجد**". إن هذا المظهر يبدو طبيعيًا، ولكنه ليس غريبًا أن نرى الجانب الآخر من الصورة فى خطاب من والد - فى العصر البيزنطى - يسب ابنه، الذى لم يحرز تقدمًا مرضيًا فى التعليم كتلميذ (من المحتمل، وإن كان أقل إمكانية فى الحدوث . إن ذلك الولد كان يتعلم حرفة وليس تلميذاً فى مدرسة).

" لقد كتبت إلىّ تسأل عن أناستاسيوس الصغير، ولما كنت أنا مدين لك فتأكد أنى سأدفع لك نقودك كاملاً، ليس صحيحًا كل ما أخبروك به، إلا أنه أحمق ، وطفل، وغبى، لقد كتب إلىّ خطابًا بنفسه، ولا يزال مستمرًا فى نظراته ونكاته الفارغة، ولكونه طفلاً وغبيًا، فإننى سوف أذهب إليه وأحضره إلى المنزل، إننى أحتفظ بخطابه لأريكه حينما آتى . عاقبه بالضرب (اجلده) وذلك لأنه منذ أن ترك والده، فإنه لم يُجلد ثانيةً، وهو لا يحب ذلك كثيرًا ولقد اعتاد ظهره على أن يجلد ويحتاج إلى نصيبه اليومى منها".

وهكذا، فإن الإشارات إلى التعليم، للمستوى الأعلى، نجدها قليلة فى البردى لدرجة تفرض علينا أن نرجع إلى نص الخطاب التالى، ونقتبس منه لأنه يستحق ذلك .

إن كاتب الخطاب (المرسل)(٤٦)، والذى كان فى الإسكندرية على الأرجح ليكمل تعليمه، بعد أن قص وروى كيف أنه تعرض لحادثة بعربة الأسرة (والتى ربما يكون لها علاقة ببعض المواقف المسرحية التى يذكرها كثيراً)، فإنه أسهب فى حديثه إلى والده عن صعوبة العثور على معلم جيد: " **لقد أقنع، كذلك، أبناء أبو للونيوس ليحضروا إلى مدرسة ديديموس ذلك لأنهم، وهو كذلك، ومنذ أن مات فيلولوجوس (Philologos) (٤٧)، ما زالوا يبحثون ، حتى الآن عن معلم أكثر كفاءة . ومن جانبى ، فإننى كنت أبتهل ألا أرى ثانية ديديموس أبداً، ولو من بعيد، إذا كان الحظ قد حالفنى وعثرت على معلمين جديرين بوظيفتهم، إنما ثبط عزيمتى، حقاً، هو أن ذلك الزميل، والذى لا يعدو كونه مدرساً ريفياً(٤٨)، قد جعل لنفسه أهلاً لمنافسة مع الآخرين. ولهذا، وكما أعرف بأنه بصرف النظر عن دفع أجور إضافية، دونما فائدة، فإنه لا خير يرجى من معلم، وأن لى مصادر دخل أخرى خاصة بى. اكتب إلىَّ وأخبرنى بسرعة بما تفكر فيه حول هذا الموضوع، ولسوف أصنع خيراً لنفسى – بفضل الآلهة – وذلك بحضور محاضرات الأساتذة الكبار، ومن بينهم بوسيد ونيوس (Posidonius) << إن ما يقلقنى ، بخصوص هذه الأمور، هو مثلاً، أن أرغم نفسى على إهمال صحتى ، إن لدى إحساساً بأن أولئك الذين لم يحققوا نجاحاً حتى الآن ليس لأنهم يهتمون بصحتهم، بل عندما لا يكسب أحدهم أية نقود بصفة خاصة>>.**

عندئذ فإن كاتب الرسالة وصاحب البردية السابقة، يعيش على فحش وبذاءة إنسان ما يدعى "هيراكلاس" (Heraclas) والذى كان عبده المرافق له، أو على الأرجح مربيه (Paedagogus) منذ كان صغيراً ويقترح عليه بأن يعمل ليتكسب بعض النقود. وبعد أن قال ذلك وعندما لحق به أخ أصغر له (جاء إليه في الإسكندرية) فإنهم سينتقلون إلى مكان أكثر رحابة فى السكنى، وينهى المرسل خطابه بأن شكر والده على إمداداته المعتادة له ، والتى يرسلها إليه من بلده.

ولكن – كما رأينا – فإن فكرة الجمناسيوم(٤٩) ، اشتملت على تعليم الجسد بنفس القدر مع تعليم العقل والذهن. لقد ذكرنا بالفعل تلك الرياضات الريفية "أى التى كانت تجرى فى القرى" أثناء العصر البطلمى، بينما نجد فى العصر الرومانى، وبالرغم من أن المدن مثل أوكسيرنخوس وهيرموبوليس (Hermoupolis) كانتا تقيمان ألعاباً ومسابقات

رياضية خاصة بهما وما يتبع ذلك من إنفاق وتكاليف، فإن الاهتمام الأكبر قد تغير، وأصبحت الأحداث المهمة حقيقة هى تلك المسابقات العالمية والمنافسات العظمى. إن وضع المعايير وتحديد المستويات الثقافية، فى ظل الإمبراطورية الرومانية، كان له ما يقابله فى ميدان التخصص الدقيق والرياضة العالمية فى ذلك الزمان. ولقد أظهرت لنا الوثائق، التى عثر عليها فى مصر، أولئك الرياضيين (اللاعبين) المحترفين (وكانوا يصفون أنفسهم بأنهم أعضاء فى الاتحاد العالمى الرياضى المقدس، تحت رعاية الإمبراطور) وهم يلفون العالم القديم للاشتراك فى الألعاب، فى **ساردیس، وصيدا، ونابولی**، ثم يعودون إلى أوطانهم **ليتسلموا هدايا الشكر والعرفان** على بطولاتهم من مواطنيهم الأعزاء. والأهم من ذلك كله، أنهم كانوا يعفون من الضرائب، فضلاً عن **حصولهم على معاش شهرى**، وفى بعض الحالات الأخرى، فإنهم كانوا يستثنون من الأعباء العامة، هم أنفسهم وكذلك أسلافهم. كان هناك شخص ما يدعى "ديوس" (Duos) ليس ، بالضبط، على مستوى المسابقات العالمية ، وهو الذى كان قد أرسل خطابًا لزوجته سوفرونى (Sofrone)، وقد حفظته لنا الأقدار، كان ديوس هذا قد ذهب إلى الإسكندرية مع بعض أصدقائه ليبحث عن شخص ما (ربما كان ذلك الشخص مدينا له ببعض المال)، اختفى منذ مدة : "**إننا لم نجد صاحبنا**" كتب ديوس لزوجته" : "**وبدلاً منه وجدنا مولانا الملك**". ولما كانت المباريات والألعاب تعقد بأمر ملكى فإن ديوس قد دبر أمرًا له بالاشتراك فيها " **بفضل عمل من أعمال البر والإحسان** " ، (وعلى الأرجح أنه لم يكن على أهبة الاستعداد أو مؤهلاً للاشتراك) ومع ذلك فقد ضربه المحترفون ضربًا مبرحًا فى لعبة البانجراتيون[٥٠]. ولم يرعبه شيء، وراح ينفذ خطته بأن ينافس أصدقاءه وأصحابه هو (الذين كان يعرف قدراتهم جيداً وبلا أدنى شك) حتى فاز – فى نهاية المطاف – عليهم فى مباراة للمصارعة، وقد تسلم جائزة مالية من الإمبراطور، بينما تمت مكافأة الآخرين بملابس، كجوائز السلوى والترضية. ولقد كرر ديوس نجاحه فى يوم كان الإمبراطور فيه يرأس احتفالاً رسميًا ويتقدم موكب تكريم آل لاجوس (Lagaion) كان ذلك الأمر طريفًا أن ترى إمبراطورًا رومانيًا يكرم ذكرى الوالد الأكبر لبطليموس الأول ، ويختتم ديوس خطابه إلى زوجته قائلاً: "**وهكذا ، فلا تتضايقى، فإنه بالرغم من أننا لم نجد صاحبنا، فقد أعطانا الحظ شيئًا آخر**".

العقود

ولكن الغالبية العظمى من الوثائق، سواء أكانت عامة أم خاصة، ليس لها علاقة مباشرة مع التعليم أو تاريخ الثقافة اليونانية – الرومانية، وبالرغم من أن هذه الأشياء يمكن أن تنبئ – والأمر كذلك هنا – عن أن ذاك الشعب كان أميًا، أو أنها يمكن أن تظهر في أسلوب وصياغة وهجاء مفردات تلك الوثائق . (ولنضرب لذلك مثلاً : إن ثبات لغة الوثائق البيزنطية وتكرارها لهو دليل كافٍ على أن اللغة اليونانية – آنذاك – كانت لغة تحتضر، وقد حافظت على وجودها بمؤثرات صناعية مفتعلة) . إن الوثائق هي المصادر الأولى للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والإداري لأي بلد من البلدان ، وهذه الوثائق تحصى الآن بالآلاف، وتحوي داخلها جزءًا ليس بالقليل من قيمتها، بالرغم من أن ذلك العدد الضخم منهـا يبدو مربكًا ومحيراً بعض الوقت فإن إيصالاً ضرائبيًا أو حسابًا خاصًا ربما لا يكون ذا قيمة كبرى في معلوماته (بالرغم من أننا ندين لبردية واحدة تؤرخ بـ ٣٥٩م، بمعلوماتنا عن أن الحكومة كانت بسبيل اتخاذ الإجراءات والخطوات لإنعاش التجارة بين مصر والهند). إن قيمة البردية تتأثر تأثرًا كبيرًا وتزداد قيمتها كثيراً عندما تحتسب كواحدة من سلسلة أو مجموعة بردية يمكن لدارسها أن يميز بين الإجراء العادي فيها من الإجراء غير العادي، وكذلك عندما يمكن حساب الضريبة وتنويعاتها المحلية، أوفي حالة الحسابات، يمكن مطابقة مستوى الأسعار لسلعة ما على مدى عدد من السنين. والشيء نفسه يسري على العقود، التي تشكل واحداً من أكبر أقسام الوثائق[٥١]. إن لدينا إيجارات كافية، كمثال حتى يمكننا متابعة تطور نظام ملكية الأرض منذ العصر البطلمي وحتى الفترة البيزنطية، بالرغم من أن دليلنا عن فترة ما، ربما يكون أكثر من غيره عن فترة أخرى، وكما نعرف من دروس التاريخ الاجتماعي، قرب أشياء قليلة تكون أكثر أخباراً وأفيد في معلوماتها عما نقرأه من سلسلة أعمال الزواج والطلاق، ونستطيع أن نلاحظ، في حالة الأول (أي الزواج)

الشروط المختلفة، والتى تتغير من فترة لأخرى بين الزوج والزوجة، وفى حالة الثانى (أى الطلاق) نلاحظ الملمح الرئيسى للوثائق المبكرة؛ حيث تغلب عليها سمة تبادل المنافع وتصرفات رجال الأعمال، وكذلك سمة الأعذار والادعاءات المملة المطولة التى تغلب على العقود المتأخرة منها. ويمكننا مقارنة وصية عادية من العصر الرومانى، مثلاً بظاهرة "الهبة بسبب الموت (Bonatis mortis caysa) فى القرن الرابع الميلادى؛ حيث نجد فلافيوس أبراهام (Flavius Abraham) وكان محالاً للتقاعد (ex praecosilus) فى الجيش الرومانى وقد قيد نفسه بوصية يتعهد فيها بترك نصف تركته (ممتلكاته) إلى الكنيسة المقدسة، بينما نجد زوجته تملك حق الانتفاع واستخدام النصف الآخر حتى مماتها. وعندئذ تئول ملكية ذلك النصف الآخر إلى الكنيسة. ونراه أيضًا يعطى تعليماته لكل عبيده: ذكورًا، وإناثًا ، لكى يتم تحريرهم من الرق (حتى يعتقوا) وهذا، مع ذلك، أمر مألوف فى الوصايا الوثنية. ومثل تلك الرغبات والميول لرجل ما ينتمى إلى الصفة العليا هى بمثابة الخلاصة لكل الثورة الاجتماعية.

ومن بين الوثائق البردية ، تعتبر العقود ذات قيمة خاصة، ولا سيما للمؤرخ الاجتماعى، وإذا ما أخذنا عينة مختارة بمثل ذلك، فلسوف نجد أن كلاً منها يعطينا طعمًا أو مذاقًا خاصًا لحياة العالم القديم. ففى عقد من العقود، من الأمثلة التالية، نجد عملاً من أعمال التبنى؛ حيث يعد الوالدان الجديدان الأبوين الحقيقين بأن ابنهما سيرث ضيعتهما، ولن يتعرض للرق أو العبودية. وفى عقد آخر، أخوان يحرران – "بفضل الأله زيوس والأرض والشمس" – الجزء الثالث من أمة مستعبدة ، كانا قد حجزاها مربوطة ، وكان الثلثان الآخران منها قد تحررا بالفعل وتم عتقهما. وفى عقد ثالث، يسلم أب ابنه إلى نساج لتعليمه حرف النسيج أو الحياكة، وكان على النساج أن يطعم الابن ويكسيه، وكان على الأب أن يدفع دراخمة يوميًا للنساج ، خلال المدة التى سيكون فيها الولد (الابن) غائبًا أو كسلانًا عن العمل. وفى ضوء شروط عقد آخر، من مثل تلك الاتفاقيات، نجد أن الولد كان عليه : "**أن يجلس عند قدمى معلمه من شروق الشمس حتى مغربها**"، مقابل أن يحصل على إجازة عشرين يومًا مدفوعة الأجر. وهناك عقد آخر يشبه ذلك، على نحو ما ؛ حيث يترك رجل ما عبده لذى شخص يدعى أبوللونيوس ليعلمه الاختزال. وقد نص العقد بفترة سماح للعبد، مدتها عامين يتعلم خلالها القراءة والكتابة بإتقان.

وكما يجب أن تتوقع فإن هناك الكثير من الوثائق البردية تتصل بالزراعة؛ ففى واحدة، على سبيل المثال، يتعهد رجلان بأن يأجرا ، لمدة عام واحد، كل العمليات المتصلة بمزرعة عنب، ولدينا كل الوصف الدقيق حول محتوى هذا العقد. وتمدنا تلك الوثائق كذلك ببعض الأدلة حول الجانب الترويحى فى حياة أولئك الناس، كما نرى ذلك عندما يستأجر أونوفريس (Onnophris) وبعض أصدقائه، من أوكسيرونخوس فرقة للعزف بالناى وموسيقيين (الكلمة المذكورة هنا هى كلمة . سيمفونيا Symphonia) وذلك لمدة خمسة أيام، هى مدة الحفل (العيد)، هذا فضلاً عن ضمان الانتقال بالحمير وضرورة دفع جزء من الأتعاب مقدماً. وعن الجانب القاتم (السيئ) فى حياة القدماء إبان تلك الفترة[٥٢]، يمكننا أن نسترشد أو نقتبس مما جاء فى بردية برلين (Berlin papyrus)؛ حيث تتعاقد أرملة مع حماتها الجديدة لتفضح طفلها من زواجها السابق، ما يدعوننا للدهشة هنا ، ليس لأن الفضيحة (والتى نعرف أنها كانت شيئًا عاديًا وشائعًا) كان يجب أن تحدث، بل لأنها جاءت فى صورة وثيقة قانونية (عقد).

إن كثيراً من المادة العلمية التى زود بها البردى المؤرخ هى من ذلك الملمح غير المباشر، بالرغم من أن تاريخ مثل تلك العقود، وغالبًا ما يسجل ذلك ويرفق بالبردية، ربما يؤثر تأثيراً جوهريًا فى عملية تاريخ البردى كله، بالضبط كما يحدث فى الموضوعات الجغرافية فى عمل من أعمال البيع أو الإيجار، والتى يمكن أن تخبرنا وتدلنا على وجود بعض المعابد المؤكدة أو العبادات ، وفى ذلك دليل مباشر ، وهو ما يشير إلى أشخاص أو وقائع ذات أهمية تاريخية فى الوثائق المعاصرة لأولئك الأشخاص أو تلك الوقائع، وهو دليل أندر مما نتوقعه، ولكن الأمثلة على ذلك توجد فى برديات زينون (Zenonos Papyroi)؛ حيث - على سبيل المثال توجد شخصيات تاريخية ترد أوصافها بين حين وآخر. ففى خطاب كتبه أحد عملاء زينون إليه، وهو غير معروف لنا ويكثر الكلام (ثرثار)؛ حيث يبلغه بأنه طلب خبيراً لكى "يعالج" (يصلح) بعض حبات النرد (الزهر) المصنوعة من عظام الغزال ، ولم يقيمها الخبير تقييمًا سليمًا (أو أنه أساء الظن بها) ولم يعرف قيمتها ، وحتى يؤكد سلامة تقييمه لها أشار إلى سابق خبرته فى القصر؛ حيث قام بإصلاح (معالجة) نرد الإسكندر الإتيسى - وهو رجل كان

يومًا ما ملكًا على مقدونيا لمدة خمسة وأربعين يومًا (ومن هنا جاء لقبه السابق بالإتيسى) [٥٣]، والذى ظهر بعد حوالى عشرين عامًا فى قصر الملك البطلمى بطلميوس فيلادلفوس (philadelphos)، كرجل متقاعد ، من أرباب المعاشات يعزف بالضرب على سلاميات[٥٤] اليدين. ومرة ثانية، فإن جزءًا من قانون ، لا يتعدى ثلاثة أسطر، يظهر لنا بصورة كافية أن أنطيوخوس إبيفانيس (Epiphanes) ملك سوريا - (عندما غزا مصر فى عام ١٧٠ ق.م) - كان قد خلع الملك البطلمى الحاكم على مصر آنذاك عن عرشه ، كما تقول مصادرنا القديمة، كما أن الحقيقة التاريخية التى تقول بأن الفيوم لم يطلق عليها - عند ذاك - اسم "الإقليم الأرسينوى" (Arsinoite)، عرفت باسم "إقليم التمساح" (Crocodilopolite Nome)، يمكن أن توضح كيف أن أنطيوخوس، الغازى ، أراد أن يذل اسمًا كان البيت البطلمى يكرمه. إن تاريخ تلك الحادثة المهمة فى التاريخ البطلمى قد تم توضيحها بطريقة كافية فى ضوء تحديد الإطار الزمنى لعبارات عقد إيجار لمزرعة كروم.

ومن العصر الرومانى ، لدينا مرسومان لحاكم مصر، آنذاك جرمانيكوس (Germanicus)، عام ١٩ ميلادية، وفى أحدهما ينهر الحاكم أهل الإسكندرية؛ لأنهم كرموه كنصف إله، وهو أمر يخص الإمبراطور وحده (وكان تهديده لهم بأنه - إذا استمروا على هذا النحو - سيكون مضطرًا أن يظهر نفسه لهم فى مرات أقل مما كان يفعل ، وأن هذا الإجراء ربما لا يراه عمه الإمبراطور تيبريوس Tiberius عملاً كافيًا: الخطاب المشهور للإمبراطور كلاوديوس إلى السكندريين ونسخه، وبالرغم من عدم اكتمالها: من دستور أنطونينيانا للإمبراطور كاركالا (Constitutis Antoniniana of Caracalla) والذى يعطى ويمنح حق المواطنة الرومانية إلى كل سكان الإمبراطورية : كان نص الإعلان الذى أصدره حاكم مصر الرومانى[٥٥] ، والذى يقدم فيه إصلاحات دقلديانوس[٥٦] الخاصة بتقدير الإيراد لتحديد قيمة الضرائب، وهكذا حدث تغيير جذرى فى اقتصاد الإمبراطورية ، ومما نتج عنه بصورة أكيدة ، أن مصر دخلت فى عداد القوة البشرية للإمبراطورية Capitatio humannum ، وكنتيجة لإصلاحيات دقلديانوس النقدية، والتى يمكن أن نراها فى بردية (خطاب)؛ حيث تسجل إحدى الشخصيات الرسمية الرومانية، والتى كانت لديها معلومات بتخفيض وزن إحدى العملات

الإمبراطورية ، فكتبت إلى وكيلها : **(عليك أن تسارع بالتخلص من كل الفضة الإيطالية التى عندك فى مزادات ، بالنيابة عنى، وأن نشترى بها بضاعة ، من كل نوع ، وبأى ثمن تجدها)**.

ولكن كل ذلك ، بعد هذا كله ، هو حالات الاستثناء ؛ إذ إن موضوع البردى والوثائقى هو الشئ العادى أكثر منه الشىء النادر أو غير المألوف، وحيث نجد الحكومة بعيون عامة الناس والغالبية العظمى من الشعب ، وليس بعيون رجال الدولة والمؤرخ السياسى(٥٧). إن هدف مقالتى هنا ليس وصف النظام الإدارى فى العصر البطلمى وما طبقه الرومان ، من بعدهم ، على مصر من إجراءات أكثر قسوة . لقد اتصف هذا النظام الإدارى - بحق وصدق فى ضوء الدليل البردى - بأنه " الاستغلال العملى المطلق ":

L ' exploitation pratiquée sous le signe de l'absolutisme

وتظهر برديات ما ، لا حصر لها ، المبدأ القائل بأن المواطن وجد ليخدم صالح الدولة ، وأن ذلك طبق بطريقة مهينة فى كل نواحى الحياة . وأن مكانة الملك - فى العصر البطلمى - (ولو نظريًا) باعتباره المالك الوحيد لكل الأراضى فى مصر ، ماهى إلا نموذجًا واحدًا لذلك المبدأ بالتطبيق المطلق الشامل . وربما كانت هناك حالات فردية لبعض الملوك أو حكام مصر الذين كانوا يصرحون ، بإخلاص ، عن رغبتهم فى أن يروا جامعى الضرائب (الجباة) يحسنون معاملة الناس، ولكن النظام السائد كان أقوى منهم ، ولم يقدم أى علاج لهذة المشكلة ، مثلما الحال مع ، على سبيل المثال ، وضع شخصية رسمية لتراقب أخرى. ولقد حفظت لنا بردية من تبتونيس (Tebtunis) مفكرة (memorandum) بها كل التعليمات التفصيلية حول إدارة أقسام معينة من أراضى الدخل الملكى .ربما كان المقصود بها هم وزراء المالية (Oionòmoi)، مسئولى الخزانة الملكية ، المقيمين فى كل إقليم (nomós)، ولولا أنها لا تملك الأدلة فى شكل التماسات وخطابات وتعابير قانونية ، لكننا قد اعتبرنا الاقتباس التالى - من رسالة بردية - ليس إلا صورة قانونية متكررة من صور الإدارة الحكومية : " **حاول أن تحيى كل إنسان ، وأن تحسن لقاءه فى أثناء ذهابك من مكان إلى مكان فى أثناء رحلتك**

التفتيشية، ولا يكفيك فقط أن تفعل ذلك بالكلمات وحسب ،ولكنك يجب عليك ، أيضًا – إذا اشتكى أحدهم من كتبة القرية (Scribes) (٥٨)، أو العمد (Comarchs) (٥٩) حول أى شىء يمس العمل الزراعى – أن تستفسر عن ذلك ، وأن تضع حدًا لهذه الأفعال ما يمكن " .

وتظهر مثل هذه الكتيبات للتعليمات و الإرشادات الرسمية فى العالم اليونانى ، ولأول مرة ، فى الممالك الهيللينستية (٦٠) . وقد أشار ناشر تلك البرديات ونصوصها إلى أن هذه التعليمات كانت بمثابة الأنموذج الأفضل للقائد الرومانى الأعلى(٦١) فى صياغة تعليماته . ففى هذا المجال ومجالات أخرى ،بنت روما نظام إمبراطوريتها على أسس هيللينستية . وهناك وثيقة مشابهة من العصر الرومانى وهى وثيقة " جنومون : (Gnòmòn)" لصاحبها " الإديوس لوجوس " (Idios Lògos) وهى عبارة عن إجراءات لإدارة الحساب الخاص. وكانت قد تكونت خصيصًا على يد الإمبراطور أوجوستوس (Augustus) وحفظتها لنا الأقدار فى شكل مختصر ، فى بردية برلين ،وليست هناك وثيقة تعطى صورة أفضل عن روح ممارسات الإدارة الرومانية فى مصر مما جاء عند الإديوس لوجوس فى وثيقة " ال"جنومون". **بما فيما من تعليمات تفصيلية يوضح كيف كان أى خروج عن تلك التعليمات أو تجاهلها يتحول إلى ميزة مالية وفائدة نقدية لصالح الملك (إذا ، على سبيل المثال ،أطال كاهن شعره أو لبس صوفًا ، فإنه هكذا ينتهك القانون الكهنوتى) .**

لقد كانت أسس الإدارة الحكومية ومبادئها معروفة بوضوح لكل الشعب ومما يستحق الاهتمام ويسترعى النظر أن التماسات الناس وشكواهم من اللصوص ، والظلم ،وسوء المعاملة تنتهى ، عادة ،بالتوسل إلى السلطة المسئولة أن تتخذ الإجراء المناسب " حتى لا تضار خزانة الدولة " ؛ حيث نجد أن الخلاف والمشكلة – موضوع الشكوى – هى خاصة جدًا ولا دخل لأى مسئول رسمى فيها ، فإن الملتمس (صاحب الشكوى) يطلب المساعدة على أساس أنها إذا لم تصل إليه يد العون الحكومى ، فإنه لن يستطيع أن يدفع ضرائبه . وفى التماس ، يؤرخ بعام ٢٨٠ ميلادية ،ويدعى أن شخصية رسمية ،فى وظيفة مالية ،قد أساءت استخدام سلطاتها ؛ فقد عضده

وسانده، أى ساند صاحب الالتماس، الحاكم الرومانى لمصر أى البرايفيكتوس ، لدرجة أن نقرأ ما يلى : " **وبالنظر إلى ما يتلاءم ويناسب الدخل الملكى ... فإن هيبة الحاكم العسكرى [٦٢] سوف تقتفى أثر الموضوع ويحكم فيه بالعدل التام** " . ومثل تلك الالتماسات كانت توجه إلى سلطات مختلفة عديدة ، تبدأ من أعلى الجهات الحكومية ، وهى سلطة الملك ، أو الإمبراطور ، وتنزل إلى أدناها ، وهى سلطة رئيس البوليس المحلى ، كما كانت تتناول موضوعات كثيرة ، شديدة التنوع ، ولكن عندما تستخدم هذه الالتماسات كدليل عن حالة وأوضاع الدولة وإدارتها ، فإنه من الضرورى أن نتذكر أن الالتماسات لا تكتب لإرضاء الحكومة ، كما أن ما يكون فيها من معلومات جاءت عرضية ، تختلف اختلافا بينًا فى موضوعاتها ، وغالبا ما تكون ذات قيمة و بصفة خاصة تلك التفاصيل التى تصف الظروف فيها الملتمس ويعول عليها فى أنها ستعطى دعواه وادعاءاته الإحساس الحقيقى بالظلم . ولنأخذ لذلك مثالين من مجموعة التماسات العصر البطلمى ، والتى كانت موجهة ، اسمًا ، إلى الملك ، بالرغم من أن الذى فصل فيها – فى الواقع – موظفون رسميون فى الإدارة الملكية . ففى بردية ، تشكو أرملة جندى بأن جارها يتدخل فى أمورها وشئونها عند بنائها لحائط . ونحن نعرف أن زوجها كان قد شيد محرابًا لآلهة سورية ، وكذلك لأفروديتى برينيكى (Berenike) [٦٣]، ولما كان اسم السيدة هو آسيا ، فإننا يمكننا أن نشك فى أن استعانته بآلهة أجنبية ، إنما كان مصدره تأثير زوجته عليه ، وربما كان اعتراض الجار على ذلك بسبب كراهيته لتلك الأساليب الأجنبية ، بالضبط كما يسمع عن مهاجمة المصريين لليونانيين لأنهم أجانب والعكس كذلك . وفى البردية الثانية نجد رجلاً يشك بأنه الآن عجوز ويعانى من مرض فى عينه (ومازال إلى يومنا هذا هو أحد الأمراض الشائعة فى مصر) ، وأن ابنته ، بالرغم من كل ما قدمه لها ، لن تساعده . ونرى فى ذلك أن تعليم النساء كان معروفًا فى مصر إبان العصر البطلمى .

ملاحظات عامة حول البردي الآن

إن إحدى الصعوبات لدراسة البردى الوثائقى هى إيجاد عامل مشترك لمعاملتها ، ويمكن أن يتم ذلك بعمل مجموعات من الوثائق مع بعضها ، مثل الالتماسات أو عقود الإيجار ، بالرغم من أن هناك تنويعات واختلافات محلية وزمنية يمكن أن توضع فى الاعتبار،فإن النتائج النهائية ولا سيما التى تستخلص من منظور دبلوماسى وقانونى ، ستكون قيمة . وكبديل عن وجهة النظر الرأسية هذه ، فإننا نستطيع أن نأخذ بالمصادفة، قطاعًا أفقيًا للوثائق المتنوعة ، مثل هذه الأرشيفات – وهى عبارة عن مجموعات كبيرة من الوثائق من المكان ذاته ،ويؤرخ ،تقريباً بالفترة ذاتها ،وتخص فى المقام الأول مجموعة واحدة من الأشخاص – ليست كثيرة ، وإن أكبرها وأغناها هو أرشيف برديات زينون ، ويأتى بعدها ،على الأقل من بين البرديات الأقدم ، المجموعة الكبيرة ، والتى تخص شئون بعض المقيمين (سكان) السيرابيوم [٦٤] (Serapeum) فى ممفيس ، وتؤرخ بالقرن الثانى ق.م . ومن بين الأرشيفات الأصغر ، ليس هناك ما هو أكثر تناسقًا وأكثر جاذبية من أرشيف أبوللونيوس ،جنرال (ستراتيجوس) إقليم أبوللونوپوليس (Apollonòpolis) هيبتالوميا (Heptalomia)، وتؤرخ بنهايات حكم تراجان وبدايات حكم هادريان[٦٥] .

ويصل عدد برديات هذا الأرشيف الأخير حوالى ١٥٠ بردية ،وكلها تؤرخ بفترة لا تتجاوز سبع سنوات . وهذه البرديات هى جزء ليس إلا صغيراً ، من البرديات التى جمعها أبو للونيوس وأخذها معه ، عندما أنهى عمله وتقاعد من وظيفته ،وركن إلى ضيعته فى هيرموبوليس (Hermoupolls) [٦٦] . إنه لمن النادر جداً أن نحصل على مثل هذه الصورة الواضحة عن أى إنسان فى التاريخ القديم – مثلما نعرف عن أبولو نيوس، سواء حول حياته الخاصة أو العامة. لقد حدث ما يلى : لقد تولى وظيفة بالرغم من أن مسماها هو مكتب الجنرال (ستراتيجوس)؛ لأنها كانت وظيفه مدينة ،

والذى يعمل فى هذه الوظيفة يكون مسئولاً عن الإدارة العامة لإقليمه ، وبصفة خاصة عن حسن أداء الجهاز الضرائبى ، وذلك فى أثناء ثورة اليهود الكبرى فى الولايات الشرقية ، والتى كانت قد وصلت إلى حد الحرب الأهلية ، وكانت قد تسببت فى دمار واسع وخسارة كبيرة فى الأرواح . وازداد الوضع سوءاً فى مصر، وكان مخيباً للآمال لدرجة أن الإستراتيجوس وجد لزاماً عليه أن يستدعى للتعبئة العامة (تجنيد) جموع الفلاحين، ويضع نفسه على رأسها حتى يخمد الثورات ، حتى تأتيه إمدادات من الفرق الرومانية العسكرية يمكنها الوصول إليه. وكان ذلك حدثاً لا مثيل له فى تاريخ تلك الوظيفة ، ثم نرى أبو للونيوس يكتب رسالة إلى البرايفكتوس الرومانى (الحاكم) طالباً إجازة مدتها ستين يوماً حتى يتمكن من تنظيم شئونه وأعماله الخاصة، وذلك بعد طول غياب عنها (كانت مدة خدمته فى هذه الوظيفة طويلة على غير العادة) ، وكان رئيسه الأعلى المباشر هو الإبستراتيجوس (Epistrategus) المقيم فى إقليم طيبة (Thebais)[٦٧]، وهو الذى كان يرسل إليه تعليماته حول التفتيش على الأراضى ، ويسجل له ملاحظاته بأن " الأهالى" ليسوا موضوعاً للمهانة و الابتزاز والنهب أو للاتهام الباطل الكاذب . وهناك إبستراتيجوس آخر ، هو فلافيوس فيلوكسينوس (Philoxenus Flavius)[٦٨]، الذى يكتب رسالة ، هى لرجل ، لغته الأم اللاتينية ،وليست اليونانية ، وذلك ليقدم إلى أبو للونيوس صديقاً له فيقول فى خاتمة رسالته تلك :

" عامله كما كنت تعاملنى . فهل أحتاج إلى المزيد من القول ؟ إنك تعرف طبعى (مزاجى) .. سلام " .

ولقد كان وصول هادريان إلى العرش موضوعاً لاحتفال الإقليم ، ألقيت فيه الخطب، وقدمت العروض المسرحية (الدرامية) . ومن بين أوراق أبوللونيوس توجد مسودة كتبت لمشهد تمثيلى فى الخلاء ؛ حيث يعلن كل من ديموس (Dèmos) وفويبوس (Phoíbos) الأخبار الطيبة للناس . وتشير تلك المسودة ، كذلك ، إلى أن الأفراح كانت تضم أيضاً نافورة ينساب منها الخمر .

وقدمت التقارير المطولة من المشرفين الزراعيين عن حالة الرى أعظم دليل عن العمل الروتينى فى مكتب أبو للونيوس ، كذلك الإقرارات المغلظة الأيمان ، من مسئولى

القرى أو الفلاحين بأن أراضى كثيرة سوف تزرع . ويحمل تقرير آخر من موظف بالمدينة حول رجال يناسبهم أن يعملوا كبوليس فيها [٦٩]، وهى المدينة التى ذكر فيها أسماء الشوارع الآتية : إزيس الهلالية . (Isis Crescent) وشارع حمام النساء ، وجميعها أشياء تثير الاهتمام . وكانت الإضافة اليونانية – إلى كل ذلك – هو إنشاء حمامات عامة للرجال والنساء على السواء .أما بالنسبة للفلاح المصرى[٧٠] فكان – كما هو الآن – راضياً وقانعاً بالنيل (أى بالاستحمام فى النيل) ؛ لأن فكرة الحمامات كانت غريبة عليه كفكرة الجمنازيوم ، بينما كانت هذه الأشياء بالنسبة لليونانى تمثل تحضراً وتعنى الحضارة . وأما مركز الإقليم ،الميتروپوليس (Metrópolis) العاصمة ؛ فقد كان صغيراً إذا ما قورن بمدينة كبيرة مثل أرسينوى (Arsinóé) . ولكن بالرغم من أن عدد منازلها كان فقط ١١٧٣ منزلاً ، فإننا نعرف أن هناك بعض التقاسيم الصغيرة فيها ؛ والتى كانت مؤجرة ، مما جعل عدد سكان تلك العاصمة يبدو أكثر مما هو عليه عند أول نظرة إليها ، وإلى أبوللونيوس ، كذلك ، كانت تأتى عوائد التعداد السكانى (census) كل أربعة عشر عاماً . وكان على كل صاحب منزل أن يحصى كل أفراد بيته ، وأعمارهم ، ونوعهم ، وحالتهم الاجتماعية . ومن أجل هذا الغرض ، كما يخبرنا القديس ليوك(St.Luke) ، وكما يتفق معه البردى ، وكان على كل رجل أن يذهب إلى مكان ميلاده وأصله . ولكن ستراتيجوس (كان مديراً عاماً للإقليم)[٧١] فقد كان له قصر منيع ، وفيه تعقد جلسات قضائية ، للبت فى الشكاوى والالتماسات من النظرة الأولى، وبالتالى فكان ضمن أوراقه الخاصة شكاوى والتماسات. ومن بين تلك ، نجد واحدة تتهم السكرتارية الملكية (الوظيفة العليا الثانية فى الإقليم) باغتصاب غير جائز . وهناك بردية أخرى من مجموعة من الفلاحين ،والذين يشك فى تورطهم فى قتل ضابط رومانى ، ويحاولون أن يبعدوا التهمة عن أنفسهم ويلصقوها بغيرهم . أما الحالة نفسها فهى مدونة فى مفكرة الحاكم الرومانى . وإنه لما لا يثير التعجب أن أبوللونيوس كان – كما قال هو نفسه فى خطاب إلى مفتش الإقليم – " **شارد الذهن بسبب جمع مستحقات القمح وكل الأعمال الأخرى التى لم تنته فى مكتبه** " .

ونعرف عن دائرته الأسرية من الخطابات الخاصة صورة ودورة غير عادية . لقد كان هو وأخته ألينى (Aline) مرتبطين ببعضهما أشد الارتباط ؛ إذ كانت هى ، زوجته ،

كذلك . وهو السلوك ،أو الإجراء ،الذى – بعد أن أجازه البطالمه – أصبح عاديًا تمامًا بين سكان مصر ، حاملى الثقافة الهيللينية .

إنه لا يوجد تنازل قدمته الحضارة الهيللينية إلى العادات الشرقية أكثر غرابة من ذلك(٧٢) .

وجدير بالملاحظة أنه كان ضروريًا ، كما جاء فى برديات "جنومون" للإيديوس لوجوس، أن تحرم مثل هذه الزيجات على الرومان . ولقد كان مثل هذا الزواج لا يحمل أية وصمة اجتماعية لصاحبه ، ولم يمنع أبوللونيوس من أن يكون له أصدقاء رومان كثيرون : و فى أثناء الحرب اليهودية ،كتبت ألينى إليه ترجوه أن يلقى عبء العمل عن كاهله إلى مرءوسيه ، كما كان يفعل الإستراتيجوى الآخرون ، وإلا يعرض نفسه إلى خطر غير ضرورى . وعندما مات ، قالت ألينى بأنها لم تستطع أن تتذوق ، لا الطعام ، ولا الشراب ، ولا استطاعت أن تنام . وبنفس القدرة من التأثر و الإخلاص نقدم هذا الخطاب ، والذى كتبته تاوس (Taus)، وهى امرأة كانت ، على الأرجح ، خادمة أسرة أبوللونيوس :

" تاوس إلى أبوللونيوس ، سيدها ، تحيات كثيرة جدًا . قبل كل شىء أحيك ، يا سيدى ،وأدعو لك بدوام صحتك . لقد كنت حزينة ، يا سيدى ، ولم يكن قليلاً (علىَّ) أن أسمع أنك كنت مريضًا . ولكن الشكر واجب لكل الآلهة ، التى حفظتك سالمًا من الأذى . إننى أرجوك ، يا سيدى ، إذا كان ذلك يسعدك ، أن ترسل فى طلبى، وإلا فإننى سأموت ، لأننى لست بجانبك يوميًا . ليتنى كنت أقدر على الطيران ، فأحضر إليك ، وأسجد لك ؛ لأن ما يحزننى هو أننى لا أرعاك . ولهذا ، فلتكن معى صديقًا ، ولترسل فى طلبى مع السلامة ، "يا سيدى " .

ويمكننا أن نذكر، كذلك ، من بين أوراقه الخاصة ، بعض الخطابات من هيروديس (Herdoes)، المهندس المعمارى لمنزله الجديد . ففى واحدة من تلك البرديات ، يشرح المهندس أنه بسبب موت أحد أفراد أسرة أبوللونيوس لم يستطيعوا العمل لعدة أيام قلائل ، ولهذا فإنه كان يرجوه أن يتركه ليزور أخاه. إن إشارات هيروديس إلى عمله وتفاصيل المنزل قد ذكرت فى خطاب آخر ،ولكنه ليس من الأرشيف ذاته ، كما لا تؤرخ

بفترة بعيدة تمامًا عن خطابات أبوللونيوس الخاصة . وفيها يكتب كابيتو (Capito) إلى صديقه تيريس (Teres)، رسالة حول زخرفة منزل الأخير ، الذى يشرف عليه أن يزينه ببعض اللوحات الجدارية من الإلياذة ،أو أى شىء يحبه صديقه ،وسيكون ذلك ملائمًا جدًا . عندئذ سيكون ذلك ،كما قال ،ما يتطلبه المكان (O gár tópos apaitei) .

ويمكننا الاستشهاد بخطاب آخر من أرشيف أبوللونيوس . وهو خطاب يثير الاهتمام؛ لأنه يشير إلى النسيج المنزلى (عمل النول) – فى أبسط صورة لصناعة كانت تنظيمًا دقيقًا فى مصر – كذلك لأنه يشير إلى مشاكل العمل وصعوباته ، فضلاً عن الصورة الحية ـ التى تعطيها البردية لكاتبتها نفسها . لقد كتبتها يودايمونيس (Eudaemonis) بيديها وهى أم ألينى (Aline) وأبوللونيوس . وربما كانت تلك الرسالة قد كتبت فى أثناء الاضطرابات اليهودية :" **يودايمونس إلى ابنتها إلينى ، تحية ، قبل كل شىء آخر ، فإننى أبتهل أن تكونى قد وضعت بسلام ، وأن أسمع خيرًا عن مولود ذكر ... إنه فقط وبصعوبة بالغة حصلت على الصوف من المصبغة ، فى العاشر من أبيب ، إننى أعمل سويًا مع إمائك البنات ، باذلة أفضل ما أستطيع، وأننى لا أستطيع أن أجد (رجلاً) قادرًا ليأتى ويعمل معى . إنهم جميعهم يعملون من أجل أسيادهم ؛ ذلك لأن رجالنا (ناسنا) يمشون حول المدينة كلها طالبين أجورًا أعلى . لقد وضعت أختك سويسورس (Souerous) . وأرسل تيوس (Teus) إلىَّ خطابًا ، وأخبرنى بأنها كانت شاكرة لك صنيعك ، ولهذا كانت قد تركت كل ناسها وسافرت فى ركبك ،وإن الابنة الصغرى (ابنة ألينى ، هيرايدوس : Heraedous ترسل إليك بحبها ، وتعمل بجد فى دروسها ، وإننى أخبرك بأننى لن يكون لدى وقت للإله ، إلا إذا عاد إلىَّ ابنى ثانية . بماذا أفعل بالعشرين دراخمة التى أرسلتها إلىَّ ، عندما أكون فى حالة من العسر شديدة ؟ إن أمام عينى بالفعل منظر قضاء الشتاء بدون خرقة ، مع السلامة ، لاحظى أن زوجة يوديموس (Eudémus) تلازمنى ،وإننى لشاكرة لها أعظم الشكر** " .

وفى خطاب آخر ،تشير يواديمونيس ،الأم ، إلى بعض الصعوبات التى تواجهها مع قريب لها يدعى ديسكاس (Discas)، حول بعض الأملاك العائلية على الأرجح ، وكتبت ما يلى :

" لقد قمت بدورى بالفعل ،وكذلك فإننى لم أستحم ، ولم أعبد الآلهة خوفى فى حالتك غير المستقرة ،وخشية أن أساق ، أيضًا ، إلى ساحات القضاء " .

ويسجل آخر حديثًا ، ويكشف عن الآتى :

" إنه فى زفافك ، أحضرت إلىَّ زوجة أخى ديسكاس (Discas) مائة دراخمة ، والآن فإن ابنها نيلوس (Nilus) على وشك الزواج، ومن الصواب أننا يجب أن نجاريهم ، حتى ولو كانوا قد أحزنونا " .

هذا الموقف من الديانة ،بالرغم من أننا نجد تفسيرًا أوضح هنا عما هو عادى ، فلم يكن تلقائيًا أو أملته فطرة وسجية يودايمونيس . إنه مظهر من المظاهر التى تشطط لتفسر لنا ذلك الاستخدام الواسع لأعمال السحر فى مصر لكل أغراض الحياة ،سواء التافه منها أو الجاد .

السحر فى البردى

لقد أمدنا البردى بعدد ضخم من نصوص السحر، وتمائم فعلية ، ونصوص للرقى (للتعزيم) ، أو كتب موجزة للسحرة ، مثل برديات لندن أو أوسلو الكبرى (London or Oslo papyri)، والتى مفادها جميعًا أن الأفعال الحسنة تستطيع أن تغير مجرى (تثنى) القوى السماوية ، لصالح العميل . تقترب بعض هذه التعاويذ ، والتى جاء ذكرها فى تلك الكتب ، من عمليات الإعلان الحديث ، ولا يختلف أسلوبها السيكولوجى (النفسى) كثيرًا ، وعلى سبيل المثال :

تعويذة سحرية تمنع الغضب ، وتضمن النية الحسنة ، والنجاح فى ساحات القضاء ، وتؤثر حتى على الملوك ، وليس هناك شىء أفضل من ذلك على الإطلاق . خذ قطعة (لوح) فضية ، واكتب عليها بقلم من البرونز الشكل المرسوم أدناها وكذلك الأسماء واحملها فى طيات ملبسك ، ولسوف تكسب (عندئذ اتبع الأسماء والطريقة ذاتها) .

ومن بين كل هذا الخليط المتنوع لدين العوام ، والذى نجده فى البردى ، فإن السحر والمظهر الذى يعبر عنه ، يظل مستمرًا ثابتًا .

لا يوجد الكثير من الرسائل الخاصة التى تضاهى رسائل يودايمونيس فى غناها الوصفى وحيوتها الدافقة . إن مثل تلك الرسائل لهى نماذج ممتازة لنمط مادة التاريخ القديم ، والتى يمكن أن يمدنا البردى وحده . وهناك نموذج آخر ، أكثر نمطية ، وعادى المضمون، سواء فى موضوعه الذى يعكس اهتمام مصر الدائم بالزراعة أو فى بساطته وتواضعه ، وها هو: **"أمونيوس إلى الأعز أفروديسيوس** (Aphrodisius) **تحية ، لقد كتبت خطابًا إلى الراعى هيراكليوس** (Heracleus) **وأخبرته بأنه يجب أن يمدك بحمار ، وأمرت كذلك أوفيليون** (Ophelion) **أن يزودك بآخر ، وأن يرسل الخبر إلىَّ . لقد أرسلت إلىَّ**

ثلاثة أرادب ، ولهذا فإننى أطالبك أن تبذل أقصى ما فى وسعك لكى ترسل الثلاثة الباقية فى الحال ، وكذلك الطعام (الغموس) ، لاسيما وأننى على ظهر القارب . أما عن علف الخنازير ، وباقى ثمن القش ، فأدخره إلى أن آتى ذلك لأننى أتوقع أن أحسب حسابًا معك . ولقد أعطيتك كل العلاوات ، حث زوجتك ، نيابة عنى، أن ترعى الخنازير، واهتم أنت ، كذلك ، بالعجل . ولتكن واثقًا ، يا أفروديسيوس من أنك أرسلت إلىَّ الخبز (الأرغفة) و الغموس ..... " .

خاتمة الكتاب

يستحيل أن يكون هناك تقسيم دقيق مضبوط للوثائق ، إلا على أساس طبيعة شكلها، ولا يحدث ذلك دائماً . وإن فيها تنوعًا ، وفوضى ، وتعقيداً فظيعًا للحياة نفسها .

وإن كانت السجلات المكتوبة ، كما اعتقد بلينيوس الأكبر ، هى عصارة الحضارة وإكسيرها ، وأنه لكى تتكون صورة لعصر من العصور، مع نفسها ، وبالرغم من أنها ستكون مغرضة ، فلابد من وجود الوثائق من كل نوع وأهلاً بها : " -Cum Char tae usu maxime humanitas vitae constet et memoria " بمعنى : " بالاستخدام الأمثل (الأقصى) للبردى ، تُنظَم الإنسانية الحياة ، و(تخلد) الذكرى " . وإذا ما فكرنا فى الإنسانية (Humanitas) بالمعنى الذى أعطاه لها بلينيوس، فيمكننا أن ندعى أن البرديات الأدبية أضافت بعض الصفحات إلى تاريخ الأدب اليونانى ، وهكذا فإنها قد أثرت فهمنا ، وإدراكنا له ، ولكن هناك معنى مختلف أيضًا ، والذى يمكننا أن نؤكد فيه على وجود علاقة حقيقية بين الإنسانية ودراسة البردى فى الألف عام التى تفصل الإسكندر عن محمد(صلى الله عليه وسلم)(٧٣) . إن نظرتنا إلى الحياة فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط قد غدت أكثر إكراماً وإشفاقًا ورحمة بفضل الواقعية والحيوية التى أتى بها البردى إلى كل فرع تقريباً من فروع الدراسات القديمة، ومعهما فإن فكرتنا عن معنى الإنسانية ، عند تطبيقها على التاريخ ، قد تطورت . وإذا كان معنى استمرارية التاريخ وأوجه التشابه الأساسية بين الحضارات (من بين أوجه الاختلاف الأكثر وضوحاً والأكثر عمقًا) هو صفة من بين صفات المجتمع المتحضر ، فإننا عندئذ يمكننا الادعاء بأن هذا هو التراث الذى ندين له بالعرفان اللائق به .

س.هـ. روبرتس

C.H.Roberts

هوامش الكتاب

(١) يستخدم المتن الإنجليزى لفظة "The roned" "اعتلت العرش " ، وقد فضلنا لفظة " تسيدت " عليها ، وذلك بسبب لا محدودية السيادة بمكان وإعطاء الانطباع بالانتشار الكامل. (المترجم) .

(٢) يذكر النص تعبيراً إنجليزياً قوياً " astonished realms " أى "ممالك مدهشة"، ولم تلجأ إلى ترجمته الحرفية لما فى ذلك من إيهام للفكرة المعطاة بالعربية (المترجم).

(٣) داورن ارازموس، حب النباتات ١٧٨٩

(المؤلف): ــــ (Erasmus Darwin, the loves of the plants (1789)

(٤) وهى التى سميت الآن بردية بازل ا ،وهى عبارة عن نص فى علم الفلك، مصحوبة بمقتطفات لاتينية متفرقة مكتوبة بلغة متأخرة. (المؤلف).

(٥) لا يتضح من استخدام المؤلف لاصطلاح "Dark Ages " أنه يقصد بتلك الفترة فترتنا نحن المعروفة فى التاريخ اليونانى بذلك الاسم أيضًا وتتبع تاريخنا فى الفترة من ١١٠٠ – ٩٠٠ ق.م، بل يقصد العصور الوسطى المسيحية الأوروبية التى سادها ظلام الجهل والضلال الدينى، وتسلط الكنيسة على العقول والأبدان (المترجم) .

(٦) إن اصطلاح "بابيروجى"، يستخدم غالبا بشكل شائع ليصف دراسة كل مادة مكتوبة تم الكشف عنها فى مصر (ما عدا النقوش فوق الأحجار) مثل الأوستراكا (Ostraca) أو شقافات الفخار، وألواح الخشب أو الرصاص وكذلك البردى، وهكذا فإنها تستخدم بهذا المعنى فى هذه الدراسة. إن الغالبية العظمى من النصوص هى مسجلة على أوراق البردى، ولهذا فإنه من النادر أن يتم العثور على نص أدبى كامل (بالرغم من وجود الوثائق غالبا) لدرجة أنه يجب أن يوضع فى الاعتبار أن النصوص الأدبية المذكورة، إذا لم يذكر المتن عكس ذلك، هى ناقصة، وغير كاملة، بدرجات متفاوتة إلى حد كبير. (المؤلف).

(٧) راجع: S. J. Gasiorowski, J.E.A.,XVLL (1931), 1-9 (المؤلف) .

(٨) العصر الكلاسيكى فى اليونان عادة ما يبدأ من هزيمة الغزو الفارسى الثانى لهذا البلد، أى منذ عام ٤٨٠ ق.م. وحتى دخل الإسكندر الأكبر اليونان ورئاسته للحملة ضد الفرس منذ عام ٣٣٦ ق.م. وبداية عصر جديد سمىَ باسمه وهو العصر السكندرى أو الهيللينستى. (المترجم).

(٩) هو عالم مسيحى – من الإسكندرية – ولد حوالى ١٨٥/١٨٦ ،ومات حوالى ٢٥٤/٢٥٥ م ، اسمه باللاتينية هو Origenes Adamantius كتب عنه يوسيبيوس ، معظم كتابه السادس ، فى " التاريخ الكنسى : Ecclesiastical History وجمع رسائله ، ولكنها الآن مفقودة ، عمل بالتدريس فى إحدى المدارس فى الإسكندرية . ذاع صيته ثم أصبح على رأس إدارة تلك المدرسة . زار روما ورحل إلى فلسطين فى أعقاب مذبحة كراكالا للسكندريين . عندئذ أصبح شخصية مرموقة فى الكنيسة الشرقية . وفى عام ٢٣١ م استقر

فى قيصرية ،واعتلت صحته ومات فى صور عن عمر يناهز ٦٩ عاماً تقريباً . أعماله ومؤلفاته كثيرة ، ولم يبق منها إلا القليل ، ويعتبر من العلماء الأوائل فى دراساته النقدية لمتن الإنجيل ، وفى التفاسير حول أعماله وتقييمها .

انظر : The Oxford Classical Dictionary , 2nd ed 1970.(Rep. 1972), p.756-757.

وسيكون اختصاره . هكذا (C.C.D) (المترجم).

(١٠) بوليبيوس (Polybius) أقدم وأعظم كتاب التاريخ الرومانى - بالرغم من كونه يونانيًا - فقد توفر على كتابة تاريخ مدينة روما منذ نشأتها وحتى تدمير قرطاجية ودخول اليونان تحت نير السيادة الرومانية فى عام ١٤٦ ق.م. كان أول من حدد طبيعة التاريخ وهدفه فى ثلاثة عناصر: أين، ومتى، ولماذا ؟ (ولد حوالى ٢١١ق.م. ومات حوالى ١١٨ ق.م.) انظر:

Walbank, F.W. A Historical Commentary on Polybius, Vol. I, Oxford 1957.

فى دراسة لم يسبق لها مثيل حول تاريخه وأسلوبه ومادته التاريخية. (المترجم).

وكذلك راجع كتابنا / حضارة الرومان ، دار عين ، القاهرة ١٩٩٨ م ، ص ص ٣٢ - ٣٤ .

(١١) ليس ذلك تعبيراً موفقًا من جهة المؤلف الأجنبى كاتب تلك السطور؛ لأن ذلك يجافى الحقيقة التاريخية، بالرغم مما فيه من تسهيل وتيسير على الدارس الأجنبى ليتفهم الفترة الزمنية المقصودة. ليس صحيحًا أن مصر كانت يونانية أو فارسية فى الزمن القديم، أو إنجليزية أو فرنسية فى العصر الحديث قياساً على التعبير السابق الذكر، الواقع التاريخى يقول إن مصر كانت محتلة، يدير شئونها فى فترات الضعف السياسى، حكام أجانب بفضل قوة السلاح، بدأت بالفرس (٥٢٥-٣٣٢ ق. م) وتلاهم الإسكندر الأكبر، ثم البطالمة المقدونيون (٣٢٣-٣٠ ق. م) ... إلخ. ولم يستطع كل أولئك أن يغيروا شيئًا فى أسلوب حياة المصريين، بل على العكس تماماً، فقد استمر وانتصر فكر ومعتقدات وثقافة أهل مصر القديمة على فكر وحياة أولئك الأجانب. وكثير منهم من غاص وتاه فى جنبات الريف المصرى الأصيل وراح يقلده ، ولم يحدث العكس إلا لمامًا فى أوساط الأرستقراطية المصرية والكهنوت المنافق-بعض أولئك-الذين ربطوا مصالحهم ببقاء الأجانب على أرض النيل الخالد (المترجم).

(١٢) الكاتب هنا أصاب تماماً فى هذا الوصف؛ إذ تذكر النصوص الإسكندرية وكل شىء - قبل مصر، حتى فى الألقاب الرسمية للمسئولين. فقد كان الكاهن الأكبر - إلى العصر البطلمى ، يحمل هذا اللقب "كاهن الإسكندرية وكل عموم مصر" Archiereus Alexandreias kai pases Aigyptou (المترجم).

(١٣) أى من مدينة أفرود يتوبوليس (Aphroditopolis) المصرية : (المترجم).

انظر : 1 Ralbert, R. J. A., Atlas of Classical History, Australia 1985, p. 167.

(١٤) شاعر كوميدى يونانى شهير، من العصر الكلاسيكى (المترجم):-

انظر: د. جبارة (رسالة دكتوراه من جامعة يانينا، ١٩٨٦م).

Ménandros kai e Néa komodia, Iannina 1986.

وهى أحدث دراسة بقلم متخصص عربى فى موضوعها. تغمد الله الفقيد فسيح جناته.

(١٥) هو هوميروس (Homerus) شاعر الخلود اليونانى الأول ، وأقدم مؤلف ملاحم فى العالم أجمع، حتى يومنا هذا، وهو صاحب الإلياذة (Ilias) والأوديسيا (Odysseia) من القرن ال ٩-٨ ق. م.

راجع: (أ) د. صقر خفاجة: هوميروس، شاعر الخلود، سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب، مكتبة نهضة مصر (الفجالة) ١٩٥٦.

(ب) د. عبد المعطى شعراوى: هوميروس شاعر الإلياذة والأوديسيا، المكتبة الثقافية ٢٦٥، القاهرة ١٩٧١ .

(ج) د. لطفى عبد الوهاب: "عالم هوميروس"،عالم الفكر، عدد (١٩٨١)، ص ص ٥١-٥٦.

(د) د. أحمد عتمان: الشعر الإغريقى، تراثًا عالميًا انسانيًا، عالم المعرفة، عدد (١٥٨) (المترجم).

(١٦) سالونيكى (Thessalonike)، وهى عاصمة اليونان الشمالية، وثانى أكبر مدينة يونانية، بعد العاصمة الرسمية أثينا (المترجم).

(١٧) وغالبًا ما يستخدم علماء التاريخ والآثار لفظة "Mainland" للدلالة على بلاد اليونان نفسها- البلد الأم-تمييزًا لها عن الجزر الشرقية والأخرى الغربية والكيكلاذيس فى وسط البحر الإيجى.

راجع حول جغرافية اليونان، عبد اللطيف أحمد على، التاريخ اليونانى، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٥ ؛ فهو الكتاب العربى الوحيد الذى أفاض وفصل الحديث فى هذا الموضوع (المترجم).

(١٨) عن الشعر الأورفى (Orphic poetry) والحركة الأورفية عمومًا منذ نشأتها فى القرن ٧ ق. م. ولاسيما فى إقليم أتيكا وجنوب إيطاليا، راجع. O. C. D., op. cit., pp. 759-76. (المترجم).

(١٩) إذا كانت بردية الإلياذة (الكتابين ٥-٦) وكذلك بردية ديسكولوس (Dyscolus)، والموجودتان الآن فى مكتبة بودمر (Bodmer) قد تم اكتشافهما مع مجموعات بردية قبطية ويونانية مسيحية، فإن هذا التفسير ربما لا ينطبق، ولكن الحقائق لا تزال فى حاجة إلى توضيح (المؤلف).

(٢٠) أى نظم وهياكل التربية والتعليم والثقافة فى تلك الممالك المقدونية القيادة واليونانية الثقافة واللغة . (المترجم) وهى تحديدًا المملكة البطلمية فى مصر والسيليوكية فى سوريا .

(٢١) آثرنا هنا أن نضع عنوانًا رئيسيًا لما هو آت حتى نميز أوضاع مصر وحالها تحت حكم القيادة المقدونية الجديدة - بعد وفاة الإسكندر - لبلد فراعنة مصر الأقدمين ،وحضارة عظيمة يحسدها عليها المعاصرون من أبناء سوريا القديمة واليونان القريبة وروما الناهضة الصاعدة فى شبة الجزيرة الإيطالية .

والبطالمة - نسبة إلى بطلميوس - وليس بطليموس - حرف " م" قبلا ، وذلك وفقًا للهجاء اليونانى الأصلى، ويسمى ذلك القائد المحنك الذى كسب ثقة الإسكندر وتقديره ولازمه فى فتوحاته ، وكسب جثمانه ونقله إلى ممفيس ثم الإسكندرية ليحظى بالتقدير والإكبار والصفة الرسمية فى نظر ورثة العرش الملكى وإمبراطورية الإسكندر .

كان بطلميوس (Ptolemaios) بن لاجوس (Lagos) هو أمكر قادة الإسكندر ؛ فقد فاز بنصيب الأسد أو - إن شئت فقل - بأغنى وأعرق أجزاء إمبراطورية الإسكندر ، حيث ضمن كل عوامل نجاح مشروعه الاستثمارى الخاص به وبأسرته من بعده - لإقامة مملكة بطلمية - فى مصر تتمتع بكل مميزات المكان ، وخصائص السكان ، وملابسات الزمان التى كانت تسير - فى أواخر القرن الرابع - لصالح منطقة الشرق القديم ، فاستطاع بكفاحه وصموده ،وحنكته السياسة مما ساعد أحفاده الأوائل من بعده على استقلال مملكته لمدة لا تقل عن مائة عام تقريبًا ، حتى اضطرت تلك المملكة - الأجنبية الإدارة - لكى تحافظ على عرشها أن تستعين بقوة خارجية فى قمة ازدهارها آنذاك وهى روما ، مما فتح عليها بابًا لم ينغلق إلا بضم مصر إلى إمبراطورية الشعب الرومانى وضياع كل طموحات البطالمة وآخر ملوكها وهى كليوباترا السابعة ، فى عام ٣٠ ق.م.

راجع فى ذلك تفاصيل الخلافات الشديدة - بعد وفاة الإسكندر - وكفاح بطلميوس الأول (Soter) الذى دخل فى صراعات عسكرية ، مع الطامعين فى مصر من زملائه القادة المقدونيين الآخرين ، إبراهيم نصحى : مصر فى عهد البطالمة ، جـ١ و ص ص ٥٠-٩٥ (الطبعة الثالثة) (المترجم) .

(٢٢-٢٣) حول أحداث دراسة نقدية للبعد التراجيدى للمكان والكوميدى للزمان ، راجع Lowe N.J., Tragic Space comic Timing in Menander's Dyskolos, Bulletion of Institute of Classical Studies, 34 (1987). وكلمة (Dyscolus) فى اللغة اليونانية ، تعنى " الصعب " أى المسرحية ، تناقش شخصية ومواصفات رجل صعب التفكير ، صعب المواقف والسلوك إزاء الآخرين (المترجم) .

(٢٤) ساتورا (Satura): هى فن الهجاء ، وهى لفظة لاتينية الأصل ، أما الفن كلون درامى ، فكان له بدايات عند المسرحيين الإغريق القدماء - كما نرى عند سوفوكليس وغيره ، ولكنه أصبح فنًا أدبيًا قائمًا بذاته على يد الكتاب الرومان .

انظر لمزيد من المعلومات رسالة دكتوراه / هانم محمد فوزى ، النقد الاجتماعى عند جوفينال ، أثينا ، اليونان سنة ١٩٨٤ ، للتعريف بفن الساتورا وتاريخه عند اليونان والرومان ، منذ بدايته وحتى القرن الأول الميلادى (المترجم) .

(٢٥) هى تسمية أخرى ، أكثر عمومية وشمولاً (حيث تشمل كل العالم القديم أو كل إمبراطورية الإسكندر الأكبر) من تسمية العصر البطلمى ، فالأولى تبدأ من ٣٣٦ ق.م ., ولكن الثانية ترتبط بمصر فقط وباسم بطلميوس وحده وأسرته من بعده ، وتبدأ - تجاوزًا - من موت الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م. أو رسميًا عام ٣٠٥ ، عندما أعلن بطلميوس نفسة ملكًا على مصر (المترجم) .

انظر : Griffith, Hellenistic Civilization, 3rd ed. 1952. (Rep.1978),1-5.

(٢٦) يستخدم الكاتب هنا لفظة إنجليزية معبرة فى تعبير جميل عن سوء إجابة الغلام وعدم علمه التام بهجاء الاسم ، فقال المتن (and makes a hash of it) أى أن الابن فرم ولخبط الاسم لخبطة تامة كما تفرم اللحمة (المترجم).

(٢٧) هنا لا نستطيع إلا أن نفهم أن المقصود بتلك الصفة " المصريين " ، ليسوا هم أولئك أبناء البلاد الأصليين ، الذين يتحدثون لغتهم الوطنية ، بل هم يونانيو مصر ومن على شاكلتهم يتثقف بثقافتهم (المترجم).

(٢٨) الأوستراكا (Ostraca)، هى قطع الشقافة أو الفخار المكتوب عليه نصوص نثرية أو شعرية ، أو أى شىء من الكتابة ، حول قصة الأوستراكا وأقدم مجموعات لها ، انظر : Préaux, C., Les Ostraca Grecs De la Collection Charles - Edwin Wilbour au Musée de Brooklyn, New York 1935 (Milano 1975),pp. 7-11- (المترجم).

وهنا قائمة مرتبة ترتيبًا أبجديًا ، مصحوبة ببليوجرافيا مختارة للنصوص المنشورة حتى ذاك الوقت ستجدها عند , R. A. Pack, The Greek and Latin Literary Texts from Greco - Roman Egypt, 2nd ed , Ann Arbor, Michigan, 1965. (المؤلف) .

كما يمكنك الرجوع إلى قوائم دورية Chronique d'Egypt & Aegyptus وكذلك لمعرفة المزيد من البرديات المنشورة .

(٢٩) انظر : O.C.D., op.cit, s. v. Ariadne or Minos, pp. 106-107, 692-693. (المترجم).

(٣٠) وهو أحد أعظم شعراء الكوميديا الأثينية القديمة ، هاجم الزعيم الآثينى بيريكليس (Pericles)؛ لأنه " فرض الحرب على أثينا " ، عام ٤٥٠ ق.م. ازدهرت أعماله فى الربع الأخير من القرن الخامس ق.م. انظر .O.C.D., op.cit, s. v.Cratinus, p.297 (المترجم) .

(٣١) انظر : O.C.D., op.cit, s. v.Pericles,p.800 (المترجم) .وكذلك كتابنا : تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ص٢٤٧–٢٤٨

(٣٢) هذه إضافة من عندنا حتى يتيسر للقارئ تحديد نقاط الدراسة .

(٣٣) الكتاب الخامس (V)، فقرة (٧) . (المؤلف) .

(٣٤) بمعنى : " .... نتيجة (أو / نتاج) معادلة للموت " وكلمة كاربوس (Karpós)، وحدها تعنى : المحصلة ، الناتج . (المترجم) .

(٣٥)عن الأوديسيا - (Odysseía) ملحمة عودة للأبطال اليونانيين من حرب طروادة (حوالى مطلع القرن الثانى عشر ق.م. (١١٨٤ ق.م.) للشاعر الخالد هوميروس ، راجع مثلاً :

(أ) صقر خفاجة : هوميروس ، شاعر الخلود ، القاهرة ، . ١٩٨٥ م .

(ب) أحمد عتمان : الشعر الإغريقى تراثًا عالميًا إنسانيًا ، عالم المعرفة ، ١٩٨٥ م.

(ج) لطفى عبد الوهاب : " عالم هوميروس " : مجلة عالم الفكر ، سنة ١٩٨٤ م .

O.C.D., op. cit. s.v. Homer, pp. 524 - 526.-. Wace, A.J.B. - Stubbings F.H. A Companian to Homer, 1962

ومراجع أخرى ، باللغات الأجنبية ، لكثرة اختلاف وجهات النظر ، بالإضافة إلى رأى اليونانيين المحدثين حول تراثهم (المترجم) .

(٣٦) هذا التاريخ للعصر البطلمى ، بدأ منذ عام ٣٢٣ منذ أن مات الإسكندر ، واعتماداً على أقدم وثيقة بردية يونانية ، تؤرخ بعام ٣١١ ق.م؛ حيث جاء ذكر بطلميوس فيها على أنه كان واليًا على مصر آنذاك وسبقت اسمه عبارة " ... والسنة الرابعة عشرة من عهد الوالى بطلميوس... " يجعل وجود بطلميوس فى مصر سابقًا على إعلانه لنفسه ملكًا فى عام ٣٠٥ ق.م راجع : بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٦٦ ، ترجمة د. محمد عواد حسين ،ود . عبد اللطيف أحمد على . كذلك راجع محمود السعدنى : تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ص ٤٠ – ٤٥ .

(٣٧) هذه إضافة إلى المترجم ؛ إذ إن المقالة كلها تحمل عنوانًا واحداً فقط، هو البردى اليونانى ، وكان من الضرورى وضع عناوين فرعية لتسهيل عملية تحجيم كل موضوع على حده، كما فعلنا من قبل.

(٣٨) لدراسة دور الجمناسيوم العلمى والرياضى فى المجتمع المصرى، فى العصرين البطلمى والرومانى، راجع أفضل دراسة وثائقية حول هذا الموضوع تمت إلى يومنا هذا:

د– حمدى إبراهيم (باليونانية الحديثة)

Helleno - Romaike Paideia en Aigypto, Ph. D., Athenai 1972.

وكذلك بحثه (باللغة العربية) فى الجمعية التاريخية المصرية (١٩٧٦): بعنوان:" الثقافة والتعليم فى مصر إبان العصر الهيللينستى" (المترجم).

(٣٩) يستخدم النص الإنجليزى كلمة Chancellor بمعنى رئيس وزراء أو مستشار أو سكرتير، وربما كانت هذه اللفظة أقرب إلى مهمة هذا الرجل آنذاك، وذلك فى المفهوم الإنجليزى لها. وكانت تلك الوظيفة - كما جاءت فى البردى - تعرف باسم "Oikonomos" أى رجل الاقتصاد وتدبير لوازم الدولة (حرفيًا/المنزل)، ومنها جاءت كلمة economic الإنجليزية ومثيلاتها فى اللغات الأوربية (المترجم) .

(٤٠) حول برديات مجموعة زينون، انظر، على سبيل المثال (المترجم).

Preaux, C., les grecs en Egypte d'apres les archives de Zenon, Brussels 1947.

Bell, H. I., "A Greek Adventurer in Egypt" , Edinburgh Review , 243 (1926) 123 - 38.

(٤١) أرسينوى (الثانية)، هى أخت وزوجة الملك بطلميوس الثانى المحب لأخته -(Philadelphos) وليس المحب لأخيه، كما هو شائع خطأ- لأن هذا الملك هو الذى طلق زوجته الأولى، وهجرها واستطاعت هذه الأخت، الأكبر منه سنًا، والتى كانت قد تزوجت عدة مرات من قبل - وتحقيقًا لطموحاتها فى الحكم والسيادة أقنعت أخاها، بطلميوس الثانى بالزواج منها، وقد كان، فأطلق عليه المحب لأخته. وكان أن احتفى بها كثيرًا وسك لها عملة ذهبية خاصة بها تحمل صورتها تقريبًا عام ٢٧٠ ق. م. كما أقام لها عيدًا باسمها وألهها - بعد وفاتها.

راجع، إبراهيم نصحى (تاريخ مصر فى عصر البطالمة)، جـ١، ص٩٥-٩٦ (المترجم) .

(٤٢) يفضل الأستاذ الدكتور لطفى عبد الوهاب أستخدام هذه اللفظة "متأغرق"، وهى المعادل العربى للمفردة الانجليزية Hellenized، بينما نحن لا نقر دقة استخدام كلمة الإغريق ولا أى اشتقاق لها؛ لأنها ببساطة شديدة كلمة لاتينية الأصل، فكيف استخدم أنا الأجنبى كلمة أجنبية للتدليل على شعب أجنبى ثالث ولا استخدم - توخيا للدقة - مسمياته هو لنفسه، ولما لم يستخدم اليونانيون هذه المفردة Graeci لأنفسهم ولم يصفوا هم بها بلدهم أو شعبهم فيجب علىَّ - إذن - أن أستخدم ما استخدموه هم لقد استخدموا مفردة Hellenes و Hellans واشتقاتهما (المترجم).

(٤٣) ميسينون أو ميزينوم : (Misenum) تقع إلى شمال خليج نابولى، سميت هكذا نسبة إلى ميزينوس (Misenus) الذى كان طبالاً لبطل الأسطول آينياس (Aeneas) ، وكان وفقًا للروايات الشعبية وأساطير التراث أن دفن فى هذا المكان كان هذا الرجل رفيقًا للبطل الطروادى العظيم هيكتور (Hector) البطل الملحمى فى الإلياذة، المقابل لأخوليوس (Achileus) البطل المحورى لشاعر الخلود هوميروس المترجم لأخيليوس.

(٤٤) من هذه القرية واكتشافاتها التى قام بها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة، بالتعاون مع جامعة Michigan الأمريكية راجع :آمال الروبى: الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر اليونانية - الرومانية فى ضوء حفائر كرانيس) سلسلة المكتبة الثقافية (١٩٧٨) (المترجم).

(٤٥) هى مدينة تجارية فى الجزء الشمالى من مملكة النبط (الأنباط) (أقصى شمال غرب الجزيرة العربية) وكان الإمبراطور تراجان أو (ترايانوس Trajanus) قد أعاد بناءها فى عام ١٠٦م كعاصمة للإقليم كله الذى يعرفه الرومان باسم (Arabia) كانت فى القرن الثانى الميلادى معسكرًا للفرقة الرومانية الثالثة، المسماة "كيرينايكا " (Cyrenaica) دمرتها الملكة زينوبيا، بها آثار هامة ، تشمل مسرحًا رومانيًا، ، هو أحسن أمثاله فى حالته التى كشف عنه بها. ثم ترميمه مؤخرًا، انظر : O.C.D.P. 170 s.v. Bostra (المترجم).

(٤٦) شاع بين العامة وبعض المثقفين استخدام كلمة "الراسل" على الخطابات- للدلالة على كاتب الخطاب ومرسله، ولكن الصحيح قاعديًا ووفقًا لقوانين الاشتقاق الصحيح، فإن كلمة "أرسل" هى رباعية الجذع، وبالتالى فإن اسم الفاعل لها يكون "المرسل" بضم الميم وكسر السين وليس الراسل (المترجم).

(٤٧) هنا كلمة "فيلولوجوس" وربما كان مدرسًا مشهورًا، معروفًا بكفاءته العلمية كمرب ومعلم فى تلك المدارس العليا بالإسكندرية، أما الكلمة كمفردة يونانية، فإنها تعنى الأديب، أو متخصص فى الأدب واللغة والدراسات الأدبية من قصة ومسرح، وخلافه.

(٤٨) حرفيًا: مـن الأقاليم "ex eparchias" بمعنى (مـن الريف) وليس من المدن المشهورة الكبرى أو عواصم الأقاليم، المتدنية لأولئك المدرسين القادمين إلى المدن الكبرى - مثل الإسكندرية عاصمة آنذاك الكسب لقمة عيشهم، وذلك من قبل أبناء الطبقة القادرة مما يعكس الأوضاع الاجتماعية الفاصلة والفوارق القاهرة بين طبقات المجتمع فى مصر إبان العصر البطلمى: غالبية فقيرة معدمة وقلة قليلة غنية مستمتعة بكل خيرات البلد وعلى اختلاف أنواعها. كما تعكس البردية وجهة نظر أخرى وهى عدم جدوى التعليم السليم سيما أنه سيكلف المرء الكثير فضلا عن تدهور الصحة العامة للدارسين، من جراء عملية متابعة للدروس والاستذكار المستمر الكثيف (المترجم).

(٤٩) لفظة الجمنازيوم (Gymnasium) وهى المعادل اللاتينى للأصل اليونانى Gymnasionوهى كما شرحنا من قبل - معهد التربية البدنى والذهنية فى المجتمعات اليونانية الثقافية، كما كان ذلك فى اليونان وجمع تلك المفردة فى اللغتين هو جمناسيا (Gymnasia) (المترجم).

(٥٠) لعبة البانجراتيون (Pangration) هى اختراع يونانى بحت ، إذ تعنى التسمية "التماسك الكامل" أى "الاتزان الكلى" فى كل شئ جسديا وعقليا وهى لعبة جمعت بين المصارعة والملاكمة وكانت تسمح قوانينها بكل أنواع الضرب والركل حتى العض ويحكى لنا التراث اليونانى عن أشهر مشاهير تلك اللعبة فى التاريخ القديم وكان أن لفظ أنفاسه الأخيرة بين يدى منافسه، ولم يحاول إنقاذ نفسه بالخروج على قواعد اللعبة أنذاك، فخلدته الدورة الأولمبية وأعطته جائزتها تكريما له ولأخلاقه الرياضية العالية. إنه البطل الأسبرطى "أراخيون" (Arrakhion) فكان أن أهدته اللجنة الأولمبية الجائزة الأولى وشيد له مواطنوه تمثالا تخليدا لإنجازه الأخلاقى والرياضى الرفيع . انظر :

History of the Greek Nation, vol. 2 (1972) P. 190 (المترجم).

(٥١) كل الأمثلة التى وردت - بعد ذلك، ما عدا النموذج الأخير للعقود - ستجدها فى الجزء الأول Select Papyri (vol.1) فى سلسلة "مكتبة لويب العالمية" Loeb Library (المؤلف).

(٥٢) يجب أن نذكر القارئ من وقت لأخر، أن الوثائق البردية ومضمونها لا يؤخذ دليلاً قاطعًا على وجود تصرف أو سلوك ما بشكل "ظاهرة" أو كحقيقة تاريخية لا تقبل الجدل .. ذلك لأن ذلك كله - لا يتعدى كونه تسجيلاً ذاتيًا لأناس معينين ، فى فترة زمنية معينة، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لا يستطيع القول ، أبدًا بأن صاحبها كان مصريًا خالصًا أو يونانيًا خالصا أو رومانيا خالصا ولا سيما أن الغالبية العظمى من أصحاب تلك البرديات يسمون أنفسهم بأسماء يونانية أو رومانية ناهيك عن المسميات المشتركة مثل ايسيد وروس (هبة ايزيس) مثلاً التى جمعت بين التراث المصرى واليونانى فى آن واحد وتركيبة واحدة، ولهذا لا يمكننا التيقن من جنسية صاحب الشكوى أو الالتماس أو حتى العقود .. عندئذ ستكون مجازفة غير مأمونة العواقب (المترجم).

(٥٣) كلمة etos، فى اللغة اليونانية القديمة والحديثة على السواء تعنى "سنة " أو "عام" وبالتالى فإن ذاك الوصف "الإتيسى" يحمل معنى قصر المدة التى حكمها الملك ولم تتعد العام (المترجم).

(٥٤) عظام أصل الأصابع فى اليدين، أما كيف كان يتم ذلك العزف على عظام الأصابع فليس لدينا أية معلومات عن ذلك (المترجم) .

(٥٥) كان حاكم مصر من قبل الإمبراطور الرومانى يسمى باللاتينية برايفكترس (Praefectus)، وكان يختار – فى أغلب الأحيان – من طبقة فرسان الجيش الرومانى الموالين للإمبراطور، ومن غير الطموحين، حتى لا تسول لهم أنفسهم الاستقلال بمصر دون السيادة الإمبراطورية فى روما، كما كان محظوراً عليه أن يأتى من الأفعال ما يشين الإمبراطور ويرفع قدره هو شخصياً وسط جموع الشعب المصرى، وإلا عزل واتُهم بالخيانة (Maiestas) . هذه المواصفات وغيرها كانت من أسرار الحكم الإمبراطورى الأول (Arcana)، والتى وضع أسسها أوجوستوس (Augustus) . وحول وضع مصر كولاية رومانية ، انظر:

(أ) عبد اللطيف أحمد على : مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ١٩٦١، ص ص ٤١ – ٥٧ .

(ب) El Saadani: M.. "Egypt : as a provincia Romana. A Re consideration in Dio's Narrative ", 2nd Egyptian International congress of the society of greek and roman studies, Cairo, (with the cooperation of the Italian Institute in cairo) Cairo 6 - 9 feb 1989. (المترجم) .

(٥٦) الاسم السليم لهذا المصطلح كما هو باليونانية : أى تعداد السكان (عملية الإحصاء) التام لكل شيء للإنسان والحيوان والأشياء جميعًا (المترجم).

(٥٧) أى ليس هناك ما يجبر عامة الشعب على التملق والنفاق ، وليست هناك مصلحة مباشرة لإخفاء الحقائق أو النوايا الواقعية ، كما هو الحال مع رجال الدولة والسياسيين وأبواق الدعاية المأجورة من شعراء للقصر الحاكم أو مؤرخين مدفوعى الأجر ومحدودى الهدف؛ لهذا يحق لنا أن نقول إن التاريخ القديم ، بعامة ، وخارج نطاق البرديات الوثائقية ، ليس إلا تاريخ الأغنياء الأقوياء: الملوك والأمراء وقادة الجيوش ؛ لأنهم هم الذين سجلوا ما أرادوا وتركوا لنا آثارهم كما يريدون هم ، واختاروا هم بأنفسهم ، أنصع صفحات زمانهم .. بينما الوجه الآخر للصورة لا تعرفه، ويستحيل على دارس اليوم البحث عن الحقيقة المجردة إلا إذا شاءت الأقدار وأتت معاول الآثار بأدلة جديدة تعبر عن الوجه الآخر لأزمنة وعصور أولئك الملوك والأمراء والقادة .. مما يجبرنا ويضطرنا إلى التحفظ والحذر الدائم عند إطلاق الأحكام فى التاريخ القديم (المترجم) .

(٥٨) المصطلح الوثائقى – كما جاء فى البردى – هو لفظة grapheus (جرافيوس) ، أى كاتب القرية ، أو العرضحالجى ، بمفهوم اليوم مع الاحتفاظ بفارق الوضع الوظيفى .

(٥٩) وهنا ، كذلك نرى أن المصطلح اليونانى المعروف فى البردى اليونانى هو لفظة Komarches، أى رئيس البلدة ، أى العمدة .

(٦٠) راجع تقديم المترجم لهذة الوريقات عن البردى اليونانى وتحليله عن مسميات العصر المختلفة ، للفترة الزمنية ذاتها (٣٣٢ – ٣٠ ق.م) ، وهوامشه الأولى .

(٦١) يستخدم النص الإنجليزى الاصطلاح اللاتينى mandata principis، أى " أخبار القائد الأعلى وتعليماته"، وربما كان المقصود هو الإمبراطور أوجوستوس (Augustus)؛ لأنه هو الإمبراطور الوحيد الذى لقب نفسه باسم (princeps)، أى المواطن الأول ، حتى إن نظامه وعصره سمى باسم "The principate" (المترجم). راجع كتابنا: حضارة الرومان، دار عين ، القاهرة ١٩٩٨، ص ص ١١٧ – ١٥٤ .

(٦٢) يذكر النص لفظة " epistrategos"، وهو حاكم الإقليم العسكرى ، بمثابة نائب للحاكم العسكرى العام للبلاد برتبة جنرال (ستراتيجوس Strategos) (المترجم) .

(٦٣) اسم برينيكى (Berenike) هذا هو الأول من الأسماء الملكية البطلمية الأولى، منذ بيرينيكى الأول ، بنت لاجوس والد بطليموس الأول (ولدت عام ٣٤٠ وماتت حوالى ٢٨٠/٢٧١ ق.م)، كما كانت اسمًا – تيمنًا بهذا الاسم البطلمى المقدونى – لموانئ عديدة و مدنًا كثيرة فى العصر الهيلليستى ، كان من أهمها وأشهرها ميناء برينيكى على الساحل المصرى للبحر الاحمر ، جنوب رأس بناس أنشأه بطلميوس الثانى وربطها بمدينة قفط على النيل عبر الطريق الصحراوى بقوافل من الجمال . كانت عندئذ أهم ميناء مصرى على حدودها الشرقية ،سواء لبلاد العرب (Arabia) أو الهند أو لشرق أفريقيا ، انظر :

The Oxford Classical Dictionary, 2nd ed, 1970 (Rep 1972),p .(المترجم)

(٦٤) السيرابيوم (Serapeum) باللاتينية أو السيرابيون (Serapion) باليونانية ،وهو مكان عبادة سيرابيس (Serapis) أو سرابيس (Sarapis) كما تظهر فى البردى أحيانًا . والإله (العجل) سيرابيس ، هو الصورة المجسدة لتوليفة عقائدية بطلمية ، دينية الشكل والمضمون ، سياسية الهدف ، لجأ اليها بطلميوس الأول – سوتير (soter)، باعتباره مؤسس مملكة جديدة ، لأسرة أجنبية (هى أسرته المقدونية) على أرض أجنبية (هى مصر) وبما للطرفين من المعتقدات مختلفة ، وأراد أن يمزج بعض العناصر الإيمانية المصرية مع البعض الآخر من مقدونيا بما فى ذلك اليونان لحرصه على مساهمتهم ودروهم الكبير الذى اضطلعوا به فى دولته التى سيرواهم دفة إدارتها المحلية وحققوا – مباركته ومساعدته لهم أعظم إنجازات لهم خارج وطنهم الأم وخرج إلى النور بهذا المعبود الذى اختلف المؤرخون حول أصله، ولاسيما أن الروايات التارخية كذلك لم تتفق حول سيرته الأولى.

(٦٥) حكم الإمبراطور تراجان (ونفضل أن نسميه وفقًا للهجة اللاتينى لاسمه وهو Trajanus (تريانوس) فى الفترة من ٩٨ إلى ١١٧م، بينما حكم خلفيتـه هادريان (وأفضل أن نقول: هادرياتوس : (Hadrianus فى الفترة من ١١٧ إلى ١٣٨م انظر قائمة التواريخ عند أيدرس بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص ١٩٩ (المترجم) .

(٦٦) هيرموبوليس : هى الأشمونين حاليًا ، إحدى قرى مركز ملوى بمحافظة المنيا .

انظر Talbert,R.K.J.A. : Atlas Classical History , Australia 1985, P.167

(٦٧) كان هو الإقليم الجنوبى فى أقاليم مصر الثلاثة وهى التقسيمات الإدارية الرئيسية ، وكان يسمى هذا إقليم " مصر العليا " (Ano Aigyptos) .

(٦٨) يتضح من اسم هذا الموظف الكبير أنه من أصل رومانى ، طالما أن اسمه الأول (Praenomen) وهو لاتينى (Flavius) بينما اسمه هو Philoxenus (فيلوكسينوس) ، أى "المضياف" يونانى المعنى والتركيب .. وهكذا – كما قلنا فى هامش ربما يصعب على المرء أن يحدد جنسية أو هوية كاتب الرسالة البردية ويجزم بها. (المترجم) .

(٦٩) بوليس المدينة يعبر عنه فى الوثائق البردية بلفظة : (astyphylakes) أستيفيلاكيس ، كما تنطق نطقًا حديثًا .

(٧٠) رغمًا عن الكاتب و المؤلف – الذى لم يهمه هذا الجانب ، فلقد أفردت هنا الحديث عن الفلاح المصرى والمواطن وموقفه من كل ذلك حتى نتعرف على دوره الحقيقى إزاء كل هذا الطوفان من الأجانب : حكامًا و إداريين وعسكريين (مرتزقة) ، بيدهم الأمر كله .. فيا ترى ماذا عساه كان فاعلاً ؟! ، لقد صمتت البرديات صمتًا مريبًا عن توضيح حياة أولئك – أصحاب البلاد – أو أنهم هم الذين آثروا السكوت ولم يلجأوا

إلى الخروج عن طاعة الحاكم ، إلا فيما ندر من ثورات جماعية مدمرة ، ولم نسمع عنهم وعن مشاكلهم وأنشطتهم ،وعن طموحاتهم وآمالهم . إن الجزء الآخر من الصورة فى مصر إبان الحكم البطلمى و الرومانى لابد لها أن تكتمل يومًا ما ،وذلك بإزاحة الرماد عن برديات أخرى ديموطيقية وقبطية ،لنعرف أسرارها ونضع يدنا على الدور الوطنى الحقيقى بأقلام أبناء مصر وليس بأقلام الأجانب من يونان ورومان . فى برديات كتبت منهم ولهم . بالرغم مما فعلت هنا ، بعد وضع المؤلف ابن مصر البسيط وكل تراثه الثقيل فى مقارنة – غير متكافئة المعايير والظروف – مع الفاتح والمحتل وأذنابهما من كبار موظفى الدولة من رعايا أجانب (المترجم).

(٧١) تلك الوظيفة هى أشبه بمحافظ اليوم .. وما أشبه الليلة بالبارحة ،فقد تولى الوظائف فى المحافظات بمصر ، منذ عهد الثورة المباركة ،وإلى اليوم ، محافظون ، يحملون رتبًا عسكرية ، فى الأصل ، ولكنهم يمارسون – بعد ذلك – مهامًا مدنية .. بالضبط كما كان يفعل الإستراتيجوس فى مصر إبان حكم البطالمة والرومان من قبل (المترجم).

(٧٢) هنا لابد لنا من وقفة مع المؤلف الذى يعتبر إجازة البطالمة الزواج من الأخت هو أعظم تنازل من حضارة الغرب لعادات الشرق .. هذا دون أن يصرح – (بوضوح) أصل تلك العادة الشرقية ومن أين جاءت إلى الشرق. أنها إدانة أخلاقية منه لكل الشرقيين. هذا بالرغم من أنه هو نفسه يشير إلى أن ذلك – أى الزواج من الأخت ، لم يكن وصمة على جبين من يقترفها ، تمنعه بسبب عدم الرضا الاجتماعى من حوله ، فى أن تكون له علاقاته وصداقاته وحياته العادية فى مجتمعه ، وفى ذلك تناقض بين و ظاهر مع ما وصفة قبلاً بأنه تنازل .. إنه – المؤلف – يستخدم مشاعر اليوم ومعاييره على سلوك الأمس البعيد ، على فرض أن ذلك كان سلوكًا عاديًا وشائعًا بين الشرقيين .. فهبوا يا أبناء الشرق لتردوا على تلك الصفعة على جبين حضارتكم الغراء التى علمت الغرب كله كل شيء .. حتى التسامح وحسن معاملة النسوة والأبناء والبنات .. أين تعاليمك يا إيمحوتب !!!! إن هذه العبارة لتفتح الباب أمام علماء الدارسات الشرقية ، وبالذات المصريات ، للرد على تلك الفرية الكبيرة التى أرادت أن تلطخ وجه الحضارة الشرقية بأقذر السلوكيات ، وحتى يتبين حجم الحقيقة التاريخية فى المجتمع الشرقى القديم وهل كانت ظاهرة مشينة ، آنذاك أو لا . راجع : إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جـ ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ م ، ص ٣٩ (المترجم) . راجع كذلك أحدث الدراسات البردية لنا – من ترجمة أمينة لإحداها من البهنسا؛ حيث يتأكد لأول مرة أن الزوجة كانت شيئًا ، ولها اسمها، والأخت شيء آخر ولها اسمها فى بردية واحدة بدأها الزوج بالتحية الى الأخت ثم الزوجة (Kyria) . توجد هذه الدراسة فى آخر هذا الكتاب كإضافة متخصصة لنا .

(٧٣) هذه الصلاة والتسليم هى إضافة واجبة من المترجم لم تكن موجودة ، بالطبع ، فى المتن الإنجليزى (!!!!)

مراجع عامة منذ مطلع السبعينيات

1 - Bartoletti, V., Papiri e papirologia, Firenze 1976.

ولاسيما صفحات ٣١-٣٧ : "Nota bibliografica"

للعلامة ما نفريدى ,M.Manfredi

2- Montevecchi,O., La papyrologia, Torino 1973.

3- Kontoleon, N. M., Stoicheia Hellenikes Epigrafikes, Athena, 1974-1975.

محاضرات جامعية لهذا العلامة (المتوفى عام ١٩٧٤) كوندولايون ،

الناشر : جامعة أثينا الوطنية : " أساسيات النقوش اليونانية " .

4 - Bradeen, D. W. - Kc Gregor, M.F., Studies in Fifth - century Attic Epigraphy 1973.

5- Larfeld, W., Handbuch der griechischen Epigraphik, 2 vol. 1974.

6- Turner , E. G., Greek Manuscripts of Ancient World, Oxford 1974.

7- Seider, R., Palaographie der griechischen papyri, Stuttgart (1967), vol.2 (1970).

8- Oates, J. - Bagnall, R. - Willis, W., " Checklist of editions of Greek Papyri and Ostraca " , BASP ,XI (1974), 1-35.

9- Zaki : Aly, Essays and papers , A miscellaneaus output of Greek papers from Graeco - Roman Egypt, the Greek Papyrological society Athens 1995 .

إضافات بحثية للمترجم فى مجال الترجمة عن اليونانية القديمة

١ - ثلاث برديات من البهنسا

٢ - أول سائح رومانى لمصر (!!!)

البحث الأول

ثلاث برديات من البهنسا (*)

(مؤرخة بالعصر الرومانى)

أولاً : دور البهنسا التاريخى فى العصر اليونانى - الرومانى

التقديم :

إذا كانت البهنسا قد أصبحت ، الآن ، مجرد تلال عديدة خلف بحر يوسف ، إلى الغرب من النيل ، فإنها كانت يومًا ما واحدة من أهم مراكز الفكر والتعليم والنهضة الثقافية اليونانية على أرض مصر القديمة وإبان فترة الاحتلالين المقدونى والرومانى ، وبخاصة طيلة القرون الأولى من الحكم الرومانى البغيض الذى جثم على صدر المصريين قرابة ستة قرون ونصف من الزمان ، وتجرعوا فيها كل صنوف المهانة والذل والابتزاز .

ولماذا هذه الأهمية الأدبية لمدينة صعيدية نافست بالضرورة العاصمة المركزية آنذاك ، مدينة الإسكندرية ذاتها ؟

والحق أن حفائر البهنسا (أوكسيرنخوس : Oxyrhynchus)[1] وكذلك الفيوم (Arsinotis)[2]، منذ مطلع القرن العشرين ، قد أكدت لعلماء التخصص ، خلال عدد قليل من السنين ، ما يفوق ما قدمته لهم حفائر طيبة (Thebaitis)، وهى الأقدم ، فى قرن من الزمان [3] ، وذلك سواء أكانت تلك البرديات المكتشفة مكتوبة بالديموطيقية المصرية أم

(*) قدم هذا البحث لأول مرة ضمن أعمال الندوة الثالثة لجمعية الأثريين العرب بالقاهرة ، يوم ١٧ نوفمبر ٢٠٠٠

الإغريقية اليونانية القديمة . والحق ، أيضًا ، يقال إن الفضل الأول كان للرواد فى هذا المجال ، أمثال جرنفل (Grenfell) وهنت (Hunt)، منذ عام ١٨٩٧ وحتى ١٩٠٦ م ، وباحثين آخرين رسميين وغير رسميين حتى الآن[٤] . ولعل أهم وأشهر اكتشافات البهنسا البردية ، على الإطلاق ، هى لحوالى ٩٩٠ سطرًا يونانيًا لمؤرخ غير معروف الاسم [٥] ، لفترة مهمة جدًا من التاريخ اليونانى نفسه ، فى مطلع القرن الرابع ق.م (حوالى ٣٩٦-٣٩٤ ق.م).

ولكن الغريب فى الأمر تمامًا ، أننا برغم اكتشاف آلاف البرديات اليونانية ، فى أوكسيرينخوس (البهنسا) ، والتى تؤرخ ، فى مجملها بالعصر الرومانى ، وليس بالبطلمى (؟!!!) ، فإننا لا نعرف شيئًا تفصيليًا عن المدنية ذاتها : **نظامها وإدارتها ونشاط سكانها ، ومكانتها السياسية إن كان لها ذلك آنذاك ، هذا فى الوقت الذى نعرف الشيء الكثير والكثير عن بعض عائلاتها ومواطنيها واهتماماتهم اليومية ومشاكلهم . وهذه الحقيقة التاريخية الفجة نفسها هى التى دفعتنا دفعًا لمحاولة استخلاص بعض الملامح لمجتمع البهنسا** ، وتقصى الأوضاع السياسية ، فى ذلك الوقت ، علنًا نجد مبررًا ما ، للكثافة السكانية اليونانية الثقافية ، وتحديد دور هذه المدينة على خريطة السيادة الرومانية لمصر ، وذلك من خلال المصدر الوثائقى الأهم ، دون بقية مصادر التاريخ القديم بعامة ، وهو الوثائق البردية ، بفضل :

(أ) تفرد مصر القديمة بها من حيث كثافة عدد البرديات المكتشفة على أرضها، فضلاً عن التنوع الكبير فى موضوعاتها .

(ب) لمعاصرتها للأحداث موضوع التدوين فى أغلب الأحيان .

(جـ) لدقة تاريخها باليوم والشهر والسنة .

ومن هنا فإننا نضم صوتنا إلى صوت أحد أبرز علماء التاريخ الهيللينستى وهو تارن عند مقارنته بين قيمة المصادر الأدبية (Literary Sources) التى لا تقدم إلا صورة ضبابية[٥] بالنقوش والبردى حينما قال بتوفيق كبير: But we have one steadily increasing source which can be trusted , the contemporary inscriptions and p apyri; and the smoke does gradually tend to clear . [٦]

هذا فضلاً عن جزئية غاية فى الأهمية بالرغم من قلة حجم تأثيرها وتغطيتها ، **وهى أن البرديات الوثائقية** (Documentary Papyri) تضيف إلينا معلومات عاليه القيمة حول الناس العاديين ، وأفـراد الشعـب ، مـن الطبقات الدنيا ، أولـئك الذين غالبًا ما ينساهم المؤرخون[٧] ، فى خضم صراعهم المتواصل لضمان لقمة عيشهم اليومية .

ثانيًا : ترجمة النصوص للبرديات الثلاث :

I. P.Oxy.744 :

[خطاب شخصى]

<<من هيلاريون (Hilárion) إلى أختـه أليس (Alis) ، تحيات كثيرة وإلى بيروس (Béroüs) زوجتى[٨] وكذلك إلى أبوللوناريس (Apollonaris) . فلتعرفى أنه مازلنا حتى الآن فى الإسكندرية . لا تقلقى (!) إذا عادوا جميعًا ، (بالفعل) [إلى بيوتهم] ، (ولكنى) أنا سأظل فى الإسكندرية . إنى أسألكى وأرجوكى أن تهتمى بالطفل الرضيع . وإذا تسلمنا أجرنا فى الحال (مباشرة)، فلسوف أرسله إليكِ (على عنواننا) [٩] وإذا ، على أحسن الفروض ، وحملتى ، كان المولود ذكرًا ، فاحتفظى به (اتركيه .Lit)، ولكنه إذا كان أنثى ، فتخلصى منـه. ولكنك كنتِ قـد قلتى لأفروديسياس (Aphrodísias) بألا أنساكى [١٠] **كيف أقدر أن أنساكى ؟** .

ولهذا فإنى أسألكى (أطلب منك) بألا تنزعجى . السنة ال٢٩ لحكم قيصر[١١] ، الموافق (٢٣) من شهر بؤونة >> .

II. P. Oxy. 292 : (25 A.D.)

[خطاب توصية]

<<من ثيون (théon) إلى تيرانوس (Tyrannus) ، أكثر الناس احترامًا ، تحيات كثيرة جدًا . إن هيراكليديس (Herakleides) ، حامل هذه الرسالة إليك ، هو أخى . ولهذا ، فإنى أرجوك ، بكل ما أملك من قوة ، أن تشمله برعايتك . ولكنى طلبت ،

أيضًا ، من أخيك هرمياس (Hermias) ، من خلال خطاب ، أن يعرض عليك أمره [١٢].
إنك من ناحية ، ستقدم إلى أعظم جميل، إذا منحته (حَظِيَ بـ Lit) موافقتك . ولكننى ، من ناحية أخرى ، وقبل كل شىء ، أدعو لك بالصحة ، وبأفضل الأعمال ، بعيداً عن الحسد . إلى اللقاء » .

[**ظهر البردية : إلى تيرانوس ، الحاكم الإقليمى**[١٣] (Dioiketes)]

III. P. Oxy. 494 : (156 -165 A.D.)

[وصية]

« نسخة [١٤]. فى العام التاسع عشر (١٩) لحكم الإمبراطور القيصر تيتوس أيليوس هادريانوس أنتونينوس أوجستوس بيوس Antoninus C.T.A.H. (Augustus Pius)، الموافق لليوم الثلاثين (٣٠) من شهر جرمانيكيوس[١٥] ، فى مدينة أوكسيرنخوس (oxyrhynchus) من أقليم ثيبابيس[١٦](طيبة) [Thebais]، [مع الدعاء] [١٧] بالحظ السعيد . هذه وصية أكوسيلاوس (Akousilaos) بن زيوس بن ديونيسوس ، أمه ديونيسيا بنت ثيون ، من مدينة أوكسيرنخوس ، **وأنا فى وعى ، بكامل قواى العقلية ، وطالما بقيت على قيد الحياة** ، فإننى أملك السلطة على ممتلكاتى ، لأحقق أى شىء أرغبه ، وكذلك فى أن أغير رأيى [١٨] ، فضلاً (عن حقى فى) أن ألغى هذه الوصية ذاتها . ومن ثم سأظل سيداً ما حييت[١٩]، ولكننى إذا مت [٢٠] عن هذه الوصية نفسها، فإننى أعتق رقبة[٢١] ، وتحت عطف ورعاية الآلهة زيوس وجى [٢٢] وهيليوس [٢٣] ، عبيدى : بسينامونيس (Psenamounis) ، والذى يسمى أيضًا أمونيوس (Ammonius)، وكذلك هيرماس (Hermas)، وأبوللونوس (Apollonous) التى تدعى كذلك ديميتريا (Demetria)، وابنتها ديوجينيس (Diogenis)، و عبدة أخرى لى (هى) ديوجينيس .

كما أننى أتنازل لزوجتى الحالية [٢٤] : ابنة عمى /خالىَ أريستوس (Aristous)، التى تسمى أيضًا ابنة أبوللوناريون (Apllonarion) بن هيراكليس هيرائيس (Herais) بنت الإسكندر ، لكونها مفضلة إلىَّ ، ومظهرة لكل الثقة فىَّ ، (أتنازل لها) عن كل ما أترك من أثاث ، و أدوات منزلية ، سواء المصنوعة من ذهب أو قماش ، فضلاً عن أدوات زينة ، ووقود ، وحبوب ، ومزروعات ، وكل الملابس ، وكذلك مديونياتى المكتوبة (الموثقة بإيصالات) ، أو غير مكتوبة ، ... إلخ » .

المضامين التاريخية والحضارية :

(أ) فمن البردية الأولى نعرف ما يلى :

١ - الفصل ، فى الخطاب ، بوضوح تام بين مكانة الزوجة (kyria) ، والأخت (adelphé) ، بل يأتى الخطاب متضمنًا **تفضيل الأخت على الزوجة ، فى التقدير والاحترام ؛ حيث يتم توجيه الكلام لها أولاً**، ومن ثم ليست الأخت ، هنا ، زوجة كما أشاع الغربيون ذلك!!!

٢ - الحرص على إظهار المودة والرحمة (كيف أقدر أن أنساكى)، وتقدير المسئوليات الأسرية لدى رجل المنزل ، وهو خارجه (التفكير فى الطفل الرضيع !!) وتفضيل الذكر على الأنثى ، بل والتخلص منها تمامًا(!!!) ومن ثم ليس العرب القدماء هم أول من وأد البنات.

٣ - الاعتراف بمكانة سيدة المنزل ، و حسن إدارتها له ، و إعطائها كل الصلاحيات و بخاصة المادية (تسليم الراتب والمال لها فى الحال)، وهو سلوك حميد لدى الأسر متوسطة الحال حاليًا!!!

(ب) ومن البردية الثانية نتوصل إلى :

١ - البحث الدائم عن وسائط ووسائل أخرى - غير الشرعية والقانونية - لتحقيق المصالح الذاتية ، و ضمان ذلك ببدائل أخرى ، وهو ما يعرف الآن باسم "الوساطة"، التى شاعت بين الكثيرين الآن !!!

٢ - عدم فضح الأمر ، فى البردية ، و عدم تسجيل موضع المصلحة ، أو الموافقة المطلوبة (**بشكل غير قانونى !!!**) من المسئول الحكومى الرومانى (Dioiketes) .

٣ - استمرار الاعتقاد فى الحسد والدعاء بالسلامة منه ، بنفس القدر من الدعاء بالصحة والتوفيق ، وهو معتقد مصرى أصيل لآلاف السنين ، لا يزال قائمًا بيننا حتى الآن !!!

(جـ) ومن البردية الثالثة نستنتج ما يلى :

١ – شيوع كتابة الوصية بين أفراد المجتمع آنذاك ، مع التأكيد على استمرار حق الملكية مدى الحياة ، وإنفاذها ، **فقط** ، عند الموت ٠

٢ – تحرير العبيد وعتقهم ، كأول مؤشر للنوايا الحسنة للمالك السيد تجاه خادميه الطيبين ٠

٣ – استدعاء الآلهة اليونانية القديمة ، آلهة اليونان نفسها ، و على رأسها كبيرها زيوس (zeus) ، مما يعكس استمرار الإيمان بها ، فى غربتهم على أرض مصر ، دون أن يستدعوا مثلاً ، الإله الرسمى للدولة آنذاك الذى كان لا يزال هو سيرابيس مثلاً، ولعل ذلك يؤكد الأصل اليونانى لتلك الأسرة بالتحديد ٠

وهكذا تكون هذه البرديات الثلاث قد كشفت اللثام عن حقيقة بعض القضايا التاريخيــة الخلافيــة ، التى كثيراً ما روج لها بالباطـل بعـض الباحثـين الغربيين فيما يخص :

(أ) زواج المصرى القديم بأخته ، و كأنه ظاهرة عامة لدى أجدادنا القدماء ، حتى أصبح طلابنا – نحن المصريين يرددون – دونما أدنى تمحيص – مثل هذه الأقوال والأخبار على أنها ثوابت فى تاريخنا القديم (!!) ، **والحق أنها كانت مجرد حالات فردية خاصة ، و فقط على مستوى العائلات الحاكمة ولأسباب سياسية بحتة أو اجتماعية طبقية٠**

وواضح أن الخلط المقصود ، والذى يعكس النوايا السيئة لأصحابها ، جاء بدافع الحقد الأوروبى على المكانة الاجتماعية المرموقة والتكريم الراقى ، و المعزة الخالصة للأخت ، عند المصريين القدماء حتى إنها تجىء، فى المقام الأول ، فى تقدير الزوج قبل زوجته نفسها (كما فى البردية الأولى)٠

(ب) وكذلك ظاهرة التخلص من البنات ، ووأدهم ، مثلاً، وكأنها كانت ، وفقط من مساوئ العرب القدماء قبل الإسلام ، بل هى – كما فى البردية الأولى ، كما عرفنا الآن – واحدة من مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة إبان

الاحتلال الرومانى لها ، وكانت فى الأصل ، عادة يونانية معروفة فى العصور الكلاسيكية ، فى اليونان نفسها لأسباب اقتصادية فى المقام الأول.

ومن ثم فإن شهادة بردياتنا الثلاث الآنفة الذكر هى الحق - كما أردنا وبفضل توفيق الله فى اختيارنا لها - شاهد عيان على حقائق تاريخية ، وليست مجرد انطباعات أو أفكار قابلة للشك أو الاحتمال .

ولهذا نزداد يقينًا، يومًا بعد يوم ، بضرورة إعادة النظر فى الوثائق البردية القديمة، من وجهة نظر وطنية، وليس بتكرار آراء الرواد الأوائل من العلماء الغرب المغرضين (!!!) .

FROM HILARION TO ALIS

P. Oxy. 744. 1 B.C.

[1]Ἱλαρίων{α} [2]Ἄλιτι τῆι ἀδελφῆι πλεῖστα χαί-[3]ρειν καὶ Βεροῦτι τῇ κυρίᾳ μου καὶ Ἀπολλω-[2]νάριν. γίνωσκε ὡς ἔτι καὶ νῦν ἐν Ἀλεξαν-[3]δρέᾳ [4]σμεν. μὴ ἀγωνιᾷς· ἐὰν ὅλως εἰσ-[5]πορεύονται, ἐγὼ ἐν Ἀλεξανδρέᾳ μενῶ. [6]ἐρωτῶ σε καὶ παρακαλῶ σε, ἐπιμελή-[7]θ<ητ>ι τῷ παιδίῳ καὶ ἐὰν εὐθὺς ὀψώ-[8]νιον λάβωμεν ἀποστελῶ σε ἄνω. ἐὰν [9]πολλὰ πολλῶν τέκῃς, ἐὰν ἦ{ν} ἄρσε-[10]νον, ἄφες, ἐὰν ἦ{ν} θήλεα, ἔκβαλε. [11]εἴρηκας δὲ Ἀφροδισιᾶτι ὅτι μή με [12]ἐπιλάθῃς. πῶς δύναμαί σε ἐπι-[13]λαθεῖν; ἐρωτῶ σε οὖν ἵνα μὴ ἀγω-[14]νιάσῃς. [15](ἔτους) κθ Καίσαρος Παῦνι κγ.

Verso: [16]Ἱλαρίων Ἄλιτι ἀπόδος.

2. l. Ἀπολλωνάριν. 4. Or ἀγωνιάσ<ῃς>. 8. l. σοί.

[I]

—2—

LETTER OF RECOMMENDATION

P. Oxy. 292. About A.D. 25.

[1]Θέων Τυράννωι τῶι τιμιωτάτωι [2]πλεῖστα χαί-ρειν. [3]Ἡρακλείδης ὁ ἀποδιδούς σοι τὴν [4]ἐπιστολὴν ἐστίν μου ἀδελφός· [5]διὸ παρακαλῶ σε μετὰ πάσης δυνά-[6]μεως ἔχειν αὐτὸν συνεσταμέ-[7]νον. ἠρώτησα δὲ καὶ Ἑρμί[α]ν [8]τὸν ἀδελφὸν διὰ γραπτοῦ ἀνηγεῖ-[σθαί] [9]σοι περὶ τούτου. χαρίεσαι δέ μοι τὰ μέγιστα [10]ἐάν σου τῆς ἐπισημασίας τύχηι. [11]πρὸ δὲ πάντων ὑγια<ί>νειν σε εὔχο-[12]μαι ἀβασκάντως τὰ ἄριστα [13]πράττων. ἔρρω(σο).

Verso: Τυράννωι διοικ(ητῆι).

9. l. χαρίσει. 13. l. πράττοντα.

■. A WILL OF THE ROMAN PERIOD

P. Oxy. 494. A.D. 156–165.

[1]Ἀντίγραφον. ἔτους ἐννεακαιδεκάτου Αὐτοκράτορος Καίσαρος Τίτου Αἰλίο[υ] Ἁδριανοῦ Ἀντωνίνου Σεβαστοῦ Εὐσεβοῦς [2]μηνὸς Γερμανικείου λ ἐν Ὀξυρύγχων πόλει τῆς Θηβαΐδος, ἀγαθῇ τύχῃ. τάδε διεθέμην νοῶν καὶ φρονῶν [3]Ἀκουσίλαος Δείου τοῦ Διονυσίου τοῦ καὶ Ἀκουσιλάου μητρὸς Διονυσίας Θέωνος ἀπ' Ὀξυρύγχων πόλεως ἐν ἀγυιᾷ. ἐφ' ὃν μὲν πε-[4]ρίειμι χρόνον ἔχειν με τὴν τῶν ἰδίων ἐξουσίαν ὃ ἐὰν βούλωμαι ἐπιτελεῖν καὶ μεταδιατίθεσθαι καὶ ἀκυροῦν τὴν δια-[5]θήκην ταύτην, ὃ δ' ἂν ἐπιτελέσω κύριον ὑπάρχειν. ἐὰν δὲ ἐπὶ ταύτῃ τῇ διαθήκῃ τελευτήσω, ἐλεύθερα ἀφίημι ὑπὸ [6]Δία Γῆν Ἥλιον κατ' εὔνοιαν καὶ φιλοστοργίαν δοῦλά μου σώματα [7]Ψεναμοῦνιν τὸν καὶ Ἀμμώνιον καὶ Ἑρμᾶν καὶ Ἀπολλω-[8]νοῦν τὴν καὶ Δημητρίαν καὶ θυγατέρα αὐτῆς Διογενίδα καὶ ἄλλην μου δούλην Δ[ι]ογενί[δ]α, καταλείπω δὲ τῇ γυναικί [9]μου οὔσῃ μου καὶ ἀνεψιᾷ Ἀριστοῦτι τῇ καὶ Ἀπολλωναρίῳ Ἡρακλείδου τοῦ Διονυσίου τοῦ καὶ Ἀκουσιλάου μητρὸς Ἡραΐδος Ἀ-[9]λεξάνδρου εὐνοούσῃ μοι καὶ πᾶσαν πίστιν μοι ἐνδεικνυμένῃ ἃ ἐὰν ἀπολίπω ἔπιπλα καὶ σκεύη καὶ χρυσία καὶ ἱμάτια [10]καὶ κόσμια καὶ πυρὸν καὶ ὄσπρεα καὶ γενήματα καὶ ἐνδομενείαν πᾶσαν καὶ ὀφειλήματα ἔνγραφα καὶ ἄγραφα,/[11]κληρονόμον δὲ ἀπολείπω τὸν γεγονότα μοι ἐκ τῆς προγεγραμμένης μου γυν[α]ικὸς Ἀριστοῦτος τῆς καὶ Ἀπολ[λω-][11]ναρίου.

* The original will was written in A.D. 156 and opened in 165, perhaps on the death of the testator. The present docu-

244

البحث الثانى

أول سائح رومانى لمصر(*) :
من ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟؟

تقديم ضرورى

لما كان منطق وأساس الحكم والسلطة العليا ، فى اليونان ، قد علَّم شعبه طيلة قرون طويلة ، وأجيالاً وراء أجيال، **أن القوة هى عصب الملك، والمجد والشرف يسيران خلف الثروة(**) ؛ لأنها هى سرالقوة** ، و حرصت أثينا فى عصرها الكلاسيكى أن تعظم من قوتها البشرية الشبابية الضاربة ، الجاهزة باستمرار ، وفى كل حين ، فأنشات جهاز الفتوة (Ephebeia) ، وبنت لهم الجمناسيا (***) ، وسعت لرئاسة صندوق الحلف الديلى حتى تتمكن من تمويل سياساتها جميعًا .

فإنهما - أى اليونان كلها ، وأثينا بخاصة ، - قد صدرت مفاهيمها إلى المملكة المقدونية الناهضة، وظهرت إبان القرن (٤) ق٠م أصوات النعرة الاستعلائية العنصرية، اليونانية الثقافية ، واعتبار الأجانب برابرة متخلفين ، وضرورة سيادة العالم وتوحيده ، على أيديهم وتحت سيطرتهم ومن ثم جاء الإسكندر الأكبر ، إلى الشرق ، ومن بعده خلفاؤه الطامعون فى تحقيق مجد عظيم لهم وشرف كبير لأجيالهم وفى تكوين ثروات طائلة حتى يضمنوا ذلك للأبد .

(*) قدم هذا البحث ضمن ندوة الفيوم الأولى ، الفيوم بين الماضى والحاضر ، ٨ أبريل ٢٠٠١

(**) cf. , the Athenian citizen (7th printing 1976) American school of classicalstudies at Athens, picture book no.4 (agore excavations) p.4

(***) "plouto d'arete kai kydos opedei كما قال بذلك هيسيود منذ القرن (٧) راجع " : كتابنا / تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ١٩٩٩م ، ص ١٧٠

وكان اختيـار الملك المقـدونى بطلميوس بن لاجـوس ، مؤسس المملكة البطلميـة فى مصر [منذ عام ٣٢٣ وحتى آخر ملوكها ، كليوباترا السابعة ٣٠ ق.م] غاية فى الذكاء والواقعية و تطبيق المنهج البراجماتى العملى فى الإفادة المباشرة والعائد السريع الآتى ، حينما اختار الفيوم (Arsinoe) – كما عرفت بعد ذلك فى المصادر البردية والنقوش – كمزرعة ملكية خاصة بالأسرة الحاكمة المقدونية ، فى الإسكندرية ، تكون **هى أساس للمشروع الاستثمارى الأول ، الغربى ، على أرض شرقية**، وتحديداً فى مصر ، ولكن – للأسف الشديد – دون أن يغامروا بأى شىء من عندياتهم ؛ فقد كان رأس المال مصرياً، من الخزانة الملكية الحاكمة ، من كد وتعب الفلاحين المصريين ، وكذلك كانت اليد العاملة ، هى آلاف السواعد المصرية للفلاحين المغلوبين على أمرهم ، المقهورين بحُكم " **حق الفتح والغزو – أى بحد السيف** ".

ومِنْ ثَمَّ ، استثمر الملك الغازى، المال المصرى والجهد المصرى لحسابه الخاص فى إقليم الفيوم ؛ لأنه :

١ – أبعد منطقة خصبة ، جنوب الدلتا ، يسهل الدفاع عنها وحمايتها .

٢ – توافر المياه اللازمة للرى بسهولة أيضاً .

٣ – تشابة المناخ العام ، تماماً ، فى الفيوم مع مثيله فى مقدونيا نفسها [٢٥] ، فكانت أجواؤه تذكرهم ببلدهم .

ولعل الرومان – عسكريون وسياسيون – يأتون فرادى وجماعات ، فى زيارات ، ظاهرها السياسة وتدعيم أواصر الود والصداقة[٢٦] ، وباطنها التجسس على مصادر الثروة والغنى المصرى القديم ، واستطلاع أحوال البلاد والعباد ، بطريقة مباشرة (رأى العين) ، **وليس عن طريق التقارير ورحلات التجار والمؤرخين القدامى . وليس أدل على ذلك الذى نقوله من تلك البردية التى بين أيدينا ، نسوقها إليكم ، لنوضح مضامينها التاريخية والحضارية .**

أولاً : التعريف بالبردية :

مكانها: منشورة ضمن مجموعة تبتونيس للبرديات (Tebtunis papyri)، ويُشار إليها باختصار : P.Teb.33 وهى موجودة أيضًا ضمن النشر العلمى لمجموعة البرديات المختارة : W.chr.Select Papyri .

زمانها : تؤرخ البردية بعام ١١٢ ق.م .

لغتها : اليونانية القديمة .

ترجمتها : (أ/ إلى الإنجليزية ، فى المصدرين السابقين، ثم أخيرًا عند: Lewis, N., Life in Egypt under the Roman Rule, Claredon Press, Oxford, (Great Britain), 1983, p.12 .

(ب/ إلى العربية : راجع كلاً من :

١ – عبد اللطيف أحمد على : مصر والإمبراطوية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ١٩٨٨ ، وهو أفضل كتاب فى موضوعه ، على الإطلاق – حتى الآن – ورحم الله أستاذنا العظيم فى تفرده الكبير لتوثيق مادته .

٢ – آمال الروبى : الحياة فى مصر فى العصر الرومانى : ٣٠ ق.م – ٢٨٤ م (ترجمة لكتاب نافتالى لويس) ، بمراجعة الأستاذ الدكتور / حمدى إبراهيم ، دار عين ، ط/١ – ١٩٩٧ م .

ثانيًا : الترجمة إلى العربية [٣] [ويضيف عالمنا أ.د/ عبد اللطيف مقدمة البردية كالتالى] :

" من هرمياس إلى حورس ، تحية فيما يلى صورة الخطاب المرسل إلى أسكليبيايس ، فلتعمل على اتباع التعليمات الواردة به ، والسلام. السنة الخامسة , كساندِيكوس ، (١٧) أمشير = ٥ مارس عام ١١٢ (ق.م) " .

" إلى أسكليبيايس [٤] ، **لوكيوس مميوس** ، عضو مجلس الشيوخ (الرومانى) ، هو رجل كبير المقام ، ويشغل منصبًا رفيعًا ، سيقوم برحلة (نيلية) من المدينة

(الإسكندرية) إلى إقليم أرسينوى (الفيوم) لمشاهدة مناظره ، فلتعمل على استقباله استقبالاً بالغ الفخامة ، واحرص على إعداد قاعات الضيافة فى الأماكن المناسبة .. وبالإجمال ابذل أقصى عنايتك فى كل شيء **لإرضاء الزائر**، وأظهر كل اهتمامك .. [وهنا تنتهى البردية] [٥] .

المضامين التاريخية والحضارية للنص :

١ – هذه ليست المرة الأولى التى يأتى فيها مبعوث رومانى كبير – على المستوى العسكرى (كما حدث عند زيارة سكيبيو أيميليانوس Scipio Aemilianus) – قاهر قرطاجة عام ١٤٦ ق.م ، إبان حكم يورجيتيس الثانى ، الذى تنازل عن كبريائه الملكى وسار على رجليه ، فى شوارع الإسكندرية [٦] ، ليجارى شباب القائد الرومانى وحتى لا يغضبه !!!) ، أو على المستوى السياسى كما يرجح ، (ونحن معه تماماً بل وسنزيد فى توضيح تعليقنا على هذا النص) ، العلامة الكبير فى النصوص البردية (يرحمه الله) الأستاذ الدكتور / عبد اللطيف أحمد على ، فيقول : " .. ومع أن طبيعة المهمة التى وُكلت إليه فى مصر لا تزال غير واضحة ، إلا أننا نرجح أنه كان يدخل فى نطاقها توطيد النفوذ الرومانى فيها عن طريق اتصال شخصية كبيرة مثل سكيبيو بعاهلها البطلمى ، إلى جانب **التعرف على البلاد**[٧] . "إننا لن نكون ، كذلك ، مغالين إذا قلنا إننا أمام مكر شديد من الزعماء الرومان حيال المسأله المصرية (Res Aegytiaca) – كما سمُوها هم فيما بعد ذلك إبان الإئتلاف الثلاثى الأول (بومبى وقيصر وكراسوس) فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد – ومحاولة الإفادة من ذلك فى أعظم درجاتها ، أو بالمعنى الدارج ، حتى النخاع أو الثمال !!! لقد بدأ الرومان بإظهار عضلات قواتهم العسكرية المنتصرة على أعظم قوة فى حوض البحر المتوسط الغربى ، ألا وهى قرطاجة ، ونجاحهم فى تدميرها عام ١٤٦ ق.م (بعد أن كانوا هم أنفسهم قاب قوسين أو أدنى من فقدان الثقة بذواتهم وبالآلهة الرومانية كذلك فى عام ٢١٦ ق.م عقب معركة كنائى Cannae بفضل نجاحات هانيبال وقوات قرطاجة داخل إيطاليا نفسها) ، **وسبحان مغير الأحوال بين عشية وضحاها** !!! هنا يمكننا أن نفهم رسالة الرومان،

فى صورة أعظم قادتهم العسكريين آنذاك فى أول بعثة رومانية رسمية إلى مصر البطلمية [غير معلنة الغرض] ، فى ذلك التوقيت بالذات :

(أ) عقب الانتصار النهائى لروما على قرطاجة .

(ب) عقب فرض الوصاية - غير الرسمية - للرومان على مصر ، بعد طرد أنتيوخوس الرابع من مصر فى عام ١٦٧ ق.م ، وحماية مصر من احتلال سيليوكى مؤكد .

عندئذ ، **ألا يمكننا أن نعتبر تلك الزيارة** ، (والزيارة الثانية التى نحن بصددها فى بردية لوكيوس مميوس عام ١١٢ ق.م) **مزدوجة الهدف** ؟ وذلك فى ضوء نجاحها فى :

(أ) تحقيق الإرهاب العسكرى الرومانى للمنطقة كلها .

(ب) التجسس على ثروات مصر وإمكانياتها المادية ، وأحوالها الداخلية ، لرفع تقرير مباشر لروما ولرجالاتها السياسيين والعسكريين ، حتى يتمكنوا من تحديد سياسة رومانية واضحة ولاتخاذ القرار المناسب إزاء أوضاع المسألة المصرية وعدم الاستقرار داخل البيت المالك فى الإسكندرية البطلمية .

وصدق قول نافتالى لويس (٨) ، حينما قال :

" Clearly, Roman interest in Egypt, commercial as well Political , has been growing. But now Rome was caught up in a continuing crisis of domestic strife and foreign wars,."

٢ - تحديد هدف الزيارة ، بالإقليم الأرسينويتى (الفيوم) يعكس الاهتمام الرومانى بأخصب بقعة زراعية ، (هى المزرعة الملكية البطلمية) برؤية العين لها والتعرف على ثرواتها هى بالذات .

٣ - جاء من بين جمل البردية ، ولم نترجمها نحن هنا : " ... كما ينبغى إعداد طعام جيد لبتوسوخوس (الإله التمساح) والتماسيح الأخرى التى على قيد الحياة " ، وهذا يعكس رعب المسئولين الإداريين اليونان وخوفهم من شكوى الفلاحين المصريين للمبعوث الرومانى واستخدام هذا الأخير لتلك الشكاوى بتجاهل الإدارة العليا فى الإسكندرية لمشاكلهم ، كورقة ضغط سياسية ضد الملك البطلمى أو " كمسمار جحا " للتدخل الرومانى فى شئون مصر الداخلية .

٤ – هذه أقدم إشارة، لأول مرة فى التاريخ القديم، لقيام مسئول أجنبى بزيارة مصر بغرض السياحة !!! حيث جاء فى الجزء المتروك من البردية [٩] : " ... كما ينبغى القيام بعمل الترتيبات الضرورية لكى يقوم بمشاهدة قصر التيه (Labyrinth)[١٠] .

وهكذا تكون هذه البردية **أول نص حقيقى يذكر صراحة أحد أغراض الزيارة ، ولكن دون الإعلان عن النوايا الحقيقية لصاحبها** ، كما ذكرنا سابقًا .

وما أكثر ما قاله التاريخ للدعاية والإعلان .. ولكن ما أكثر ما لم يقله ، أيضًا ، بغرض الإخفاء والإظلام سترًا لمظاهر الظلم والآثام لمعظم حكام الماضى من الزمان .

الترجمة الحرفية للنص

Verbatem

رقم السطر	الترجمة
١ –	هرمياس إلى حورس ، تحية. مرفق صورة الخطاب (المرسل) إلى إسكليبياس .
٢ –	فلتعمل ، لذلك ، على إنجاز الآتى. سلام . فى السنة الخامسة ، (واليوم) السابع عشر من أمشير[١١] (الموافق) (اليوم) السابع عشر من أمشير(١٢) .
٣ –	إلى إسكليبياديس. لوكيوس مميوس[١٣] رومانى من مجلس الشيوخ ، وذو منصب رفيع ، وشرف عظيم [١٤] .
٤ –	سيقوم برحلة (١٥) ، من المدينة الإسكندرية حتى الإقليم الأرسينويتى.
٥–٦	من أجل تفقد الأحوال (epi theorlan)، ويجب استقباله بأعلى درجات الاهتمام .

٧–٨	ولتحرص على أن تكون أماكن الإقامة (aulai) وكذلك مناطق الزيارة معدة إعدادًا جيدًا .
٩ –	وبالمثل محطات نزوله على الشاطئ ....
١٠–١١	.... يكون قد تم إمدادها بكل ما يلزم ، وأن تقدم إليه عند هبوطه من مركبه (epi tes egbaterias) الهدايا المذكور آنفًا .
١٢ –	وكذلك هدايا القصر إليه (Tes aules) في استراحته .
١٣ –	كما يجب أن يعطى المعتاد (To geinomenon) (يعطى) بتيسوخوس للإله وإلى التماسيح .
١٤ –	وكذلك الأضحى (Ta Thymata) المقررة من أجل رؤية اللابيرانث .
١٥–١٦	فضلاً عن .... القربان .... (thusia) ، ولكن ، كل ذلك ، بالإجمال .
١٧ –	يجب أن يعامل الرجل الضيف بأعلى درجات الرعاية ، والترحاب .
١٨–١٩	وتُظْهِر (له) كل اهتمامك ....
٢٠–٢١	...........................(حروف مبعثرة وكلمات ناقصة).

ملحوظة :

(١٥) يذكر النص كلمة (أنابلون) (anaploun) ، بمعنى يسير صاعدًا ، أى اتجاه الجنوب / الصعيد ، باعتبار أن الدلتا كانت (Kataploun) أى هابطة إلى الوادى ومصبى النيل .

الخاتمة

وأخيراً ، لنا إضافة مهمة حيث أمكننا أن نرصد (بعد الاطلاع على النص اليونانى الأصلى للبردية) بعض شكوك حول الترجمة الإنجليزية ، وتلك الأخريات العربية ، التى سايرت تلك المحاولات الأولى فى إعطاء المعانى بالإجمال - دون التعامل مع النص كلمة بكلمة - سطراً بسطر - كما فعلنا نحن هنا :

١- لا يذكر النص الأصلى اليونانى كلمة " الإسكندرية " ، فى السطر الخامس ، بل يذكر فقط (ek tes polews) ، أى " من المدينة " ، وكأن البلاد كلها ليس بها مدينة إلا الإسكندرية ، فالقول "المدينة" ، فى النص ، والإشارة إليها ، بصفتها كمدينة ، معرفة ، يفرض على السامع الانصراف كلية إليها وحدها دون غيرها ، مما يفرض نوعًا من العنصرية العرقية ، والمكانة الإدارية العالية كعاصمة البلاد الأولى آنذاك ، ومقر القصر البطلمى .

٢- وهذه الروح أيضًا نحس بها فى الإشارة إلى هدايا القصر " البلاط " .

Ta tés aulés ، أى بلاط القصر فى الإسكندرية (سطر ١٢) .

٣- ويذكر النص فى السطر السادس تعبير (epi theorian) ، أى "لتفقد" أو "للتفتيش"، وليست للزيارة العادية أو مجرد رؤية . فهناك فرق شاسع بين رؤية الأشياء ، والتفتيش عليها من مسئول كبير ، وبخاصة إذا كان أجنبياً، يأتى فى مثل هذا التوقيت الخطير من تطور الأحداث السياسية الخطير فى الحوض الشرقى للمتوسط (؟!!!) .

ويبدو أن الترجمة الإنجليزية خلطت بين أصل الكلمة المأخوذ عنها هذا التعبير ، فهى ليست (Théō) بمعنى (أرى) بل من (Theoro) بمعنى (أعاين) ، أرقب : (Inspect) .

ومن ثم فإن هذه الزيارة ، ليست للسياحة ورؤية المناظر ، كما شككنا نحن بالحق، بل هى للاطلاع وتفقد الأحوال، برؤية عيان بهدف التجسس والرصد التام لكل صغيرة وكبيرة فى بر مصر آنذاك ، وتمهيداً لرفع تقرير مفصل إلى مجلس الشيوخ الرومان حتى يقضى فى أمر مصر ، ويحدد نوع العلاقة المستقبلية بينها وبين روما الطامعة فيها كلها .

٤ - كثرة الهدايا والحرص عليها وعلى نوعيتها ، وعلى إظهار كل شىء -حتى الشعبى منها الخاص بالرعايا المصريين - فى أبهى صورة وأكمل حال ، يكشف خوف ورعب الإدارة العليا ، فى القصر الملكى فى الإسكندرية ، مما قد يسىء إلى سمعه البيت البطلمى لدى الرومان : أسياد العالم المعاصر (!!!) فكهذا تكون مصائر الدول والحكومات التى يسوسها حكام وزعماء إمعات (!!!) .

ملحوظة أخيرة

راجع أحدث مرجعين ، بالعربية ، صدرا مؤخراً حول آثار مصر فى عصرى البطالمة والرومان :-

١ - عبد الحليم نور الدين : مواقع الآثار اليونانية - الرومانية فى مصر (الطبعة الأولى) ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ص ١٢٤ - ١٢٧ .

٢ - عـزت حامد قادوس : آثار مصر فى العصر اليونانى والرومانى ، الإسكندرية ٢٠٠١ (دار المعرفة الجامعية) ، ص ص ١٦١ - ١٦٩

هوامش الإضافات

(١) See , Oxyrhynchus Papyri, Vol. 1- XXXXII(since 1898 and in progress)

وهنا العشرات من الأعداد الجديدة ، المصورة ، عن الأصل ، موجودة الآن فى مكتبة مركز الدراسات البردية والنقوش ، بجامعة عين شمس ، بالقاهرة .

(٢) See , fayum Papyri , Tebtunis Papyri,....

(٣) سليم حسن ، موسوعة " مصر القديمة "الجزء الخامس عشر(١٥) ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ م ، بالقاهرة ، ص ٥٧٧

(٤) e.g., Turner,E .G., "Oxyrhynchus Papyri," J.E.A., 1952,P.78 ff.

(٥) حول اسمه ومادته وأسلوبه ، فى ضوء دراسة نقدية ، راجع :

Bruce, A. F., An Historical Oxyrhy nchia, 1967.

Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, London 1966(Re 1978),P.5 :

على حسب وصفها لها بأنها ليست سوى aliterary smoke aliterary smoke screen

(٦) Ibid .

(٧) Lefkowitz,M. R.-fant , M.B., Women's Life in Greece and Rome (Duckworth) London 1982 , p.5.

(٨) ترجمه حرفية "سيدتى " ، ولم يذكر النص كلمة "gynaika" ، أى الزوجة .

(٩) يذكر النص كلمة (ano) ، أى إقليم الصعيد الأعلى ؛ حيث كانت الدلتا وقتها ، ومنذ العصر البطلمى ، تسمى (Kátō) ، أى مصر السفلى (K.Aigyptos) .

(١٠) الترجمة الحرفية " بأن : لاتنسانى (mé mé epilathes) .

(١١) هو حكم الإمبراطور أوكتافيانوس أغسطس (Augustus) ، أى فى عام (١) واحد قبل الميلاد ، من تاريخ دخوله إلى مصر عام ٣٠ ق.م ، وضمها إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية .

(١٢) الترجمة الحرفية ، فى النص اليونانى ، هى : " أن يبين لك بخصوصه "

(١٣) راجع / لأبو اليسر فرح . المرجع السابق

(١٤) هـذه المخطوطة المنشورة ، هى - بصريح العبارة - صورة منسوخة من الأصل الأقدم ، أى (antigraphon) ، وكان ذلك يستتبع تعرف أصحاب الأختام الأربعة الأصلية على النسخة الأصلية التى تم منها نسخ صورة عنها .

(١٥) هذه تسمية لاتينية لشهر باخون المصرى (منذ زيارة الأمير جرمانيكوس بن أخ الإمبراطور تيبريوس عام ١٦ م ، وذلك بفضل سماحة وكرم الأمير لعاطفة المصريين الطيبة تجاهه وعائلته كلها) ، راجع/ عبد اللطيف أحمد على ، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ص ص ٢٤-٢٧ .

(١٦) كان إقليم طيبة (هو القسم الإدارى الثانى الرئيسى فى تقسيم الرومان لمصر ، خلافًا للدلتا ، إقرارًا بالواقع الطبوغرافى والسكانى لمصرنا القديمة) ويشمل كل الصعيد .

(١٧) هذه إضافة من عندنا لاستكمال المعنى المختصر أصلاً فى البردية .

(١٨) هذا الجزء من الترجمة هو المعادل لكلمة "metadiatithetai"، والتى لم تذكرها الترجمة الإنجليزية فى المرجع السابق (i.e. Select papyri) .

(١٩) هذا تكرار مقصود من الكاتب وصاحب الوصية – ولكنه فى مكانه فى النص اليونانى الأصلى حيث تنتهى الجملة به – للمعنى الأول الذى بدأت به الجملة نفسها : " وطالما بقيت على قيد الحياة " .

(٢٠) الترجمة الحرفية : " إذا انتهيت (telutésō) .

(٢١) وهنا كذلك فإن الترجمة الحرفية ، فى النص اليونانى الأصلى ، هى : " فإنى أترك عبيدى ..... أحرارًا .

(٢٢) هى إلهة الأرض : الحارسة ، وهى أقدم الآلهة اليونانية فى الأساطير .

(٢٣) هو إله " الشمس " وإننا لنستغرب اختيار هذين الأخيرين غير الشهيرين آنذاك !!!

(٢٤) هنا تصف البردية الزوجة بلفظة "، " OUSE MOU" ، أى " تلك التى تلازمنى حاليًا ، أى حال كتابة تلك الوصية ، والغريب أن الترجمة الإنجليزية لم تفطن لأهمية تلك الإضافة ، ولم تذكرها بالمرة (!!!) .

(٢٥) وهذا يقين علمى بناء على زيارة وإقامة طويلة ، من الباحث ، فى الإقليمين مما يفسر – بجانب الأسباب الأخرى السابقة – تفضيل البطالمة لهذا الإقليم (الفيوم) بالذات .

(٢٦) كما حدث منذ أقدم زيارة للرومان ، لمصر البطلمية ، عام ٢٧٣ ق.م ، حول ذلك راجع كتابنا / تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان (الأنجلو المصرية) ,القاهرة ٢٠٠٠ م ، ص ص ١٤٦ –١٤٨ .

(٣) الترجمة هنا نقلاً عن ترجمة لأستاذنا الجليل / يرحمه الله / الدكتور عبد اللطيف أحمد على (مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية) ، القاهرة (طبعة ١٩٨٨) ، ص ص ١١– ١٢ .

(٤) لم تذكر الدكتورة / آمال الروبى [نافتالى لويس : الحياة فى مصر فى العصر الرومانى : ٣٠ ق.م – ٢٨٤ ق.م] المترجمة لهذا العمل ، وبمراجعة أ.د/ محمد حمدى إبراهيم ، دار عين (القاهرة) الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، ص١٥] لا المقدمة ولا المرسل إليه .

(٥) ترجمة أستاذنا الكبير أكثر دقة وحفاظًا على الأصل اليونانى من ترجمة نفتالى لويس ، ومن ثم الترجمة العربية الأخرى عند د./ آمال الروبى .

(٦) عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(٧) المرجع نفسه .

(٨) Lewis, N., op. cit., p.12

(٩) الترجمة هنا جاءت وفق نسخة د./ آمال الروبى لكتاب نافتالى لويس ، السابق الذكر ، ص ١٥ .

(١٠) قصر التيه (اللابيرانث) ويقصد به المعبد الجنائزى الضخم الموجود فى اللاهوان (فى الفيوم) من الأسرة الثانية عشرة ، وجاء وصفه كقصر ، عند كل من هيرودوت واسترابون ، والكلمة استعارة يونانية عن كثرة الحجرات به .

(١١) هو شهر الربيع عند المقدونيين ، وكانت تتم خلاله احتفالات سنوية (Xandica)يأتى الملك المقدونى على رأسها لتطهير الجيش ، فى بداية موسم الحملات العسكرية الخارجية كإستراتيجية ثابتة للمملكة المقدونية راجع (Curt. X.g.x1 & Polyp.X X III. 10)

(١٢) يوازى أستاذنا الكبير المرحوم الدكتور/ عبد اللطيف ، ويذكر المقابل الميلادى لذلك جميعًا ، بأنه (٥) مارس من عام ق.م.

(١٣) هناك شخصيتان شهيرتان أخريان فى التاريخ الرومانى ، تحملان اسم Memmius، وكلاهما يسمى باسمه الأول ، جايوس (Gaius)، وبينهما حوالى نصف قرن من الزمان : الأول كان تريبونا للعامة حول ١١١ ق.م ، وقتل فى شغب ، على منصب القنصلية عام ٩٩ق.م أما الثانى فكان زوجًا لابنه الدكتاتور سولا ، وتريبونا عام ٦٦ ق.م ، وبرايتورا عام (٥٨) وعدوا ليوليوس قيصر ولكنه ، فى عام (٥٥) ق.م كان قد طلق ، ابنه سولا وسانده قيصر (؟!!!) فى الترشيح للقنصلية عام ٥٤ ق.م ، وخرج بفضيحة انتخابية ، أعلن هو نفسه عنها ، وأدين ونفى إلى أثينا فى عام ٥٢ ق.م راجع / (The Oxford Classical Dict, 2nd edition 1970 (Rep . 1972) p. 668.).

(١٤) هنا يقدم أستاذنا ويؤخر ، خلافًا لترتيب كلمات النص ، وربما حرص على المعنى العربى أكثر من الصياغة النهاية .
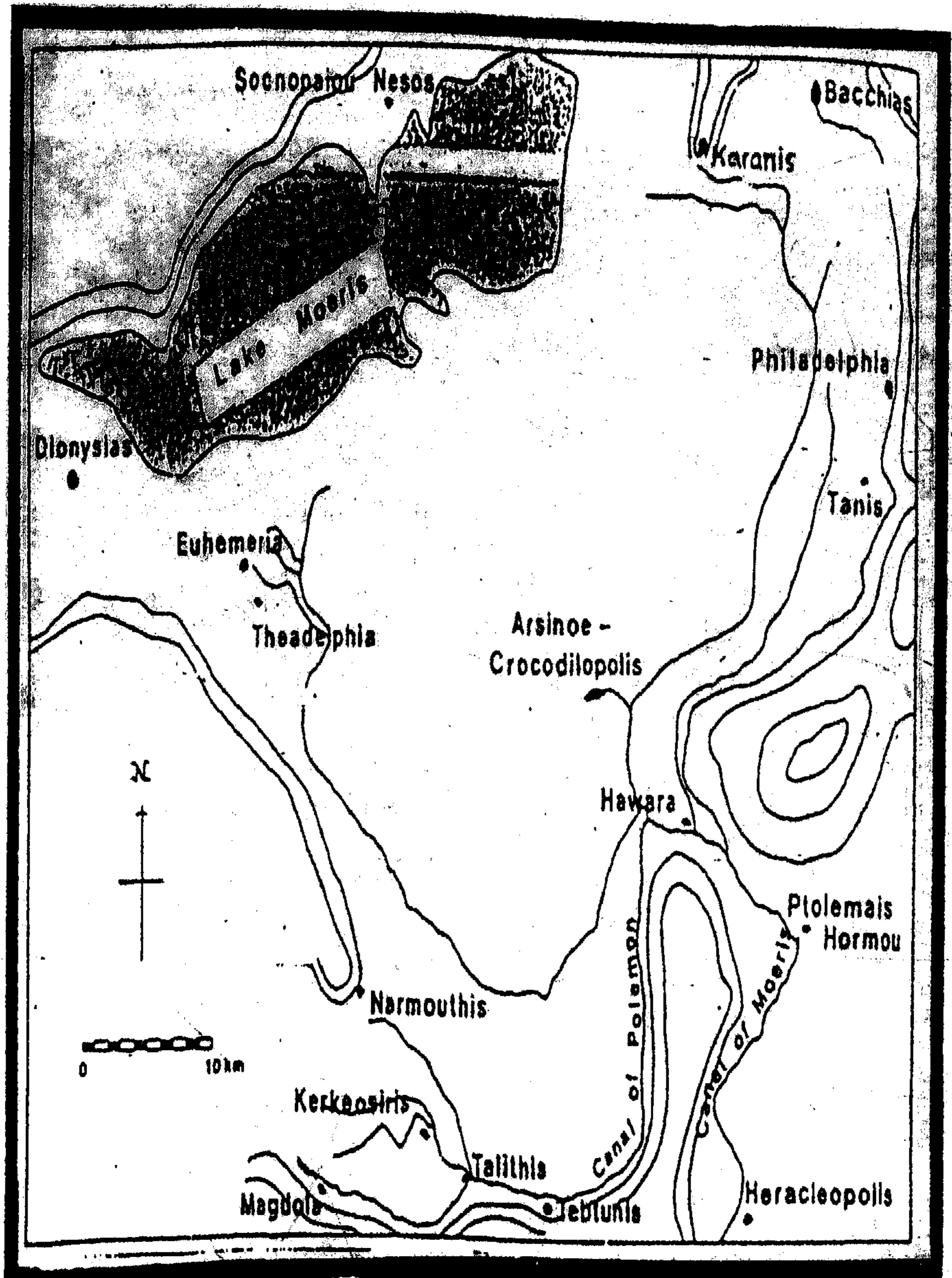
خريطة اقليم الفيوم (Arsinoitis Nomos) بأسماء مدنه وقراه باليونانية وفق المصادر البردية من العصرين اليوناني والروماني

[Ἑρμ]ί(ας) Ὥρωι χαίρειν. τῆς πρὸς Ἀσκληπιάδην ἐπισ(τολῆς) ἀντίγρ(αφον)
[ὑπ]όκει(ται).
[φρό]ν[τ]ισον οὖν ἵνα γέν(ηται) ἀκολούθως. ἔρρω(σο). [(ἔτους)] ε Ξανδικοῦ ιζ
[ ] Μεχεὶρ ιζ.

Ἀσκλη(πιάδει). Λεύκιος Μέμμιος Ῥωμαῖος τῶν ἀπὸ
συγκλήτου ἐν μείζονι ἀξιώματι κα[ὶ] τιμῆι
5 κείμενος τὸν ἐκ τῆς πό(λεως) ἀνάπλουν ἕως τοῦ Ἀρσι(νοίτου) νο(μοῦ)
ἐπὶ θεωρίαν ποιούμενος μεγαλο[π]ρεπέστερον
ἐγδεχθήτωι, καὶ φρόντισον ὡς ἐπὶ τῶν
καθηκόντων τόπων αἵ τε αὐλαὶ κατασκευασ-
[θ]ή[σο]νται καὶ αἱ ἀπὸ τούτων ἐγβα(τηρίαι) σ[.]ι[.]...
10 π . . . . συντελεσθήσονται καὶ αὐτῶι προσ-
ενεχθήσεται ἐπὶ τῆς ἐγβα(τηρίας) τὰ ὑπογεγ(ραμμένα) ξένια,
καὶ τ[ὰ] εἰς τὸν τῆς αὐλῆς καταρτισμὸν
καὶ τὸ γεινόμενον τῶι Πετεσούχωι καὶ τοῖς κροκο(δείλοις)
ψωμίον καὶ τὰ πρὸς τὴν τοῦ λαβυρίνθου θέαν
15 καὶ τὰ . [. .] . [. . σ]ταθησόμενα θύματα καὶ τῆς
...θυσί[α]ς . . . . . χ— ης . . . . . . τὸ δ' ὅλον ἐπὶ πάντων . . .
τὴν μεγίστην φροντίδα ποιουμένου τοῦ εὐδοκοῦ[ν]τα
τὸν ἄνδρα καταστα[θῆναι] τὴν πᾶσαν προσενέγκαι
19 σπουδή[ν] . . . τε[.] : α[18 letters] . . . . μι
20 λ . . ησ . [. .]α . . [.] . η . δα . [. .] . [14 letters]ν
τησι[. . .]εικα . [. . . .]πημ . . [
.[15 letters]ε . [.
[10 „] . ι . τ . ε . . . τ . [
[13 „] ἄρτοι . [
25 [8 „]καται λ λ[

(بردية لوكيوس مميوس: أول سائح روماني لمصر)

Teb . pap. 33 .

ملاحظات لغوية حول النص اليوناني الأصلي:-

١. طول البردية هو: ٣١,٤سم

٢. عدد سطورها: ٢٥سطراً

٣. ترجمتها الممكنة: حتى سطر رقم (١٩) فقط. اما الاسطر الستة الباقية فهي – كما هو واضح من صورة النص أعلى – عبارة عن حروف مبعثرة لا يمكن التكهن بسياقها في كلمات بعينها (!!!)

١ - سيقان نبات البردى كما تبدو فى الطبيعة وتعلوه قمته الورقية التى تشبه النخلة
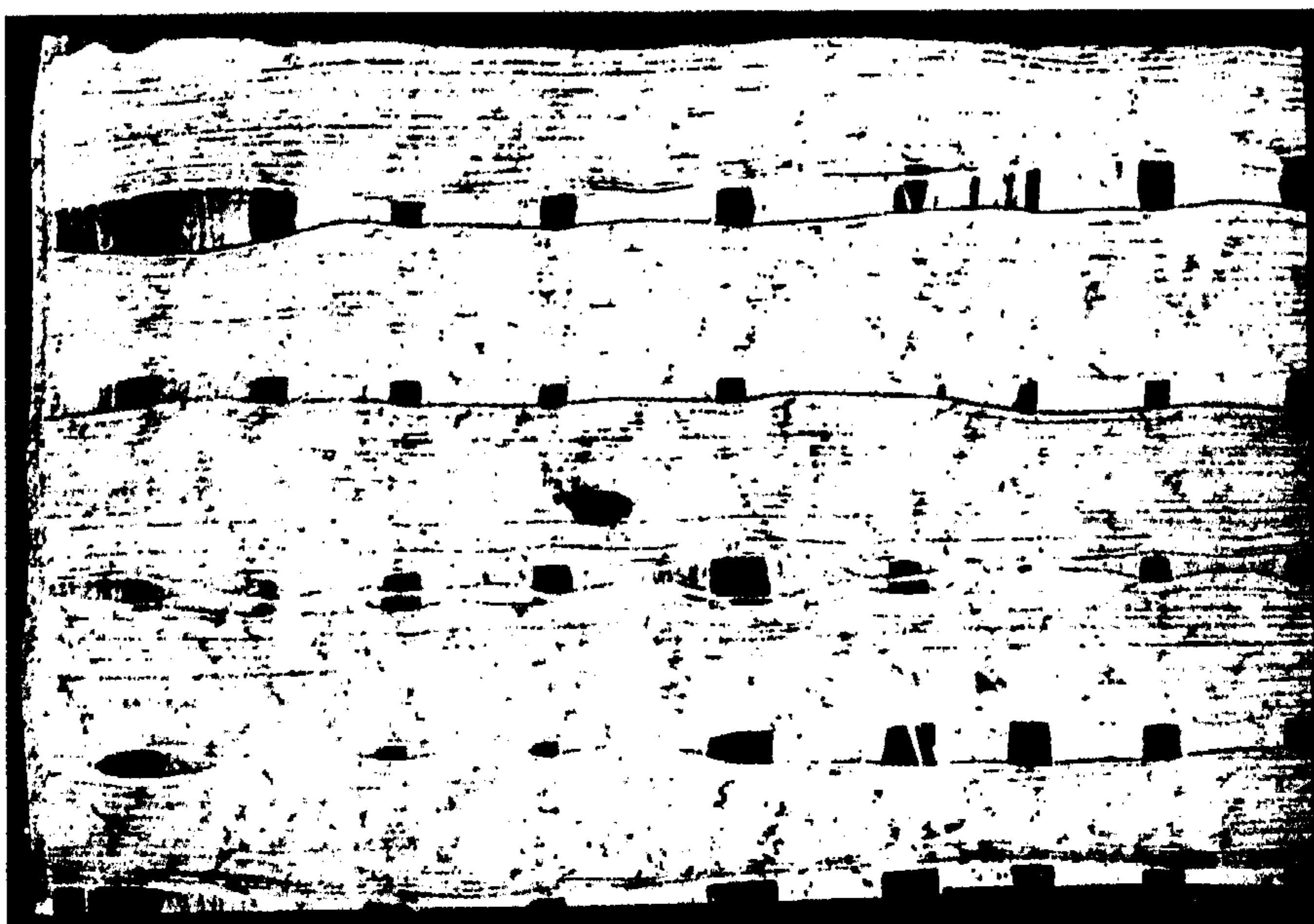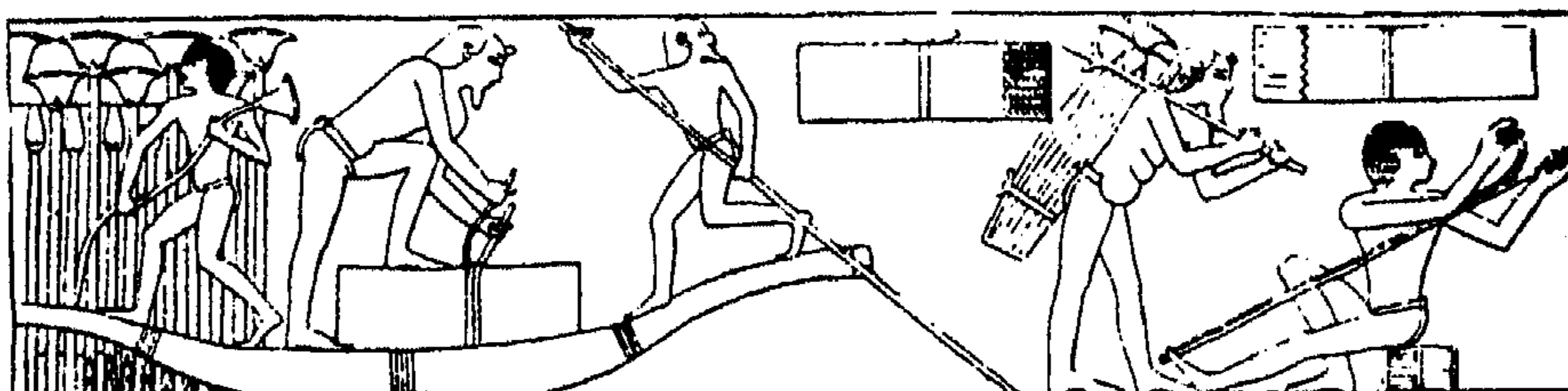
٢ – طريقة جمع وتصنيع ورق البردى فى صفوف متقاطعة
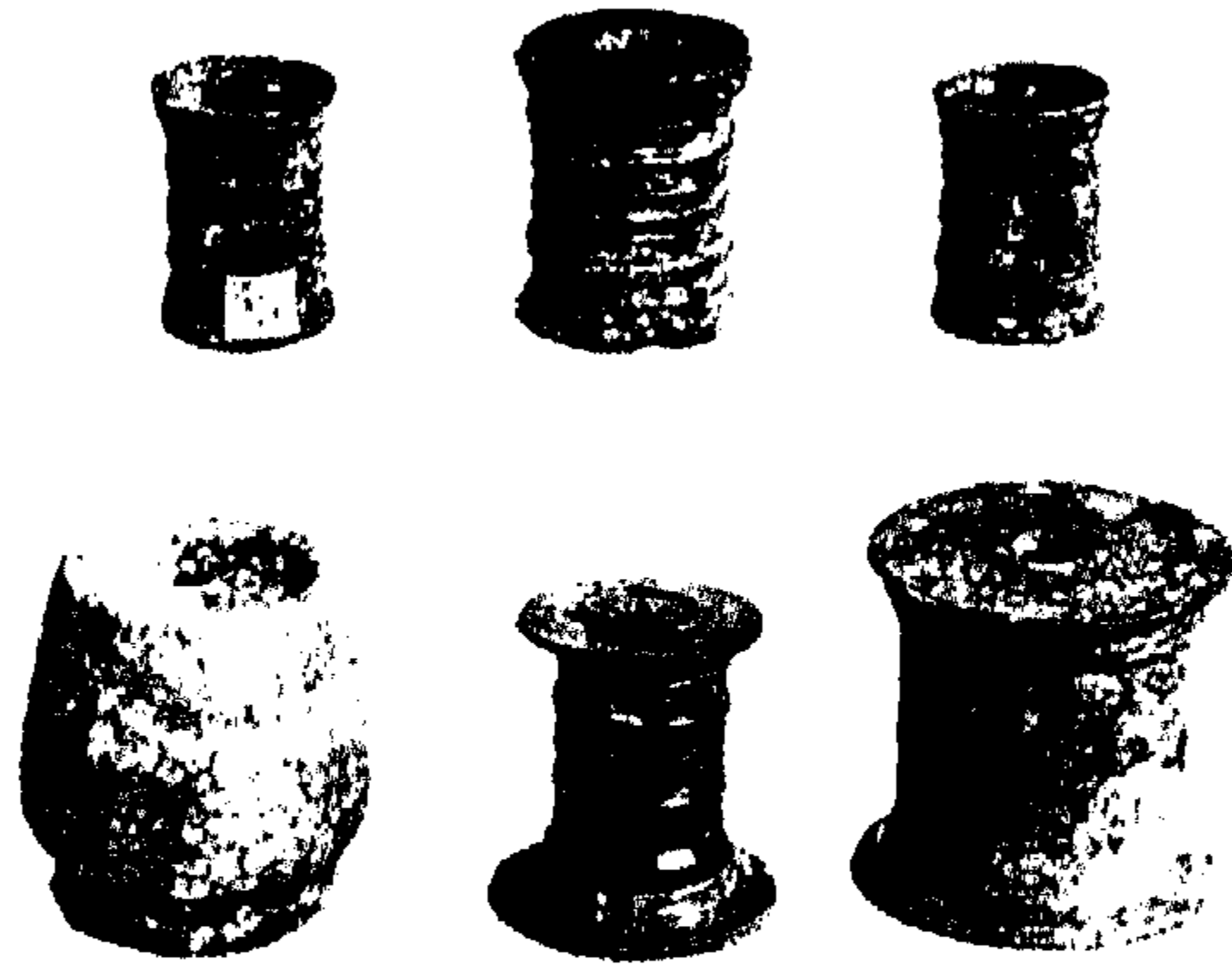
٢ - أدوات الكتابة (الأقلام) والأحبار فى دِوًى صغيرة (أعلى اللوحة) .

٤ – لفافات البردى كما يتم كشفها فى المناطق الأثرية على طبيعتها قبل فضها من الأختام وتجهيزها للنشر والترجمة
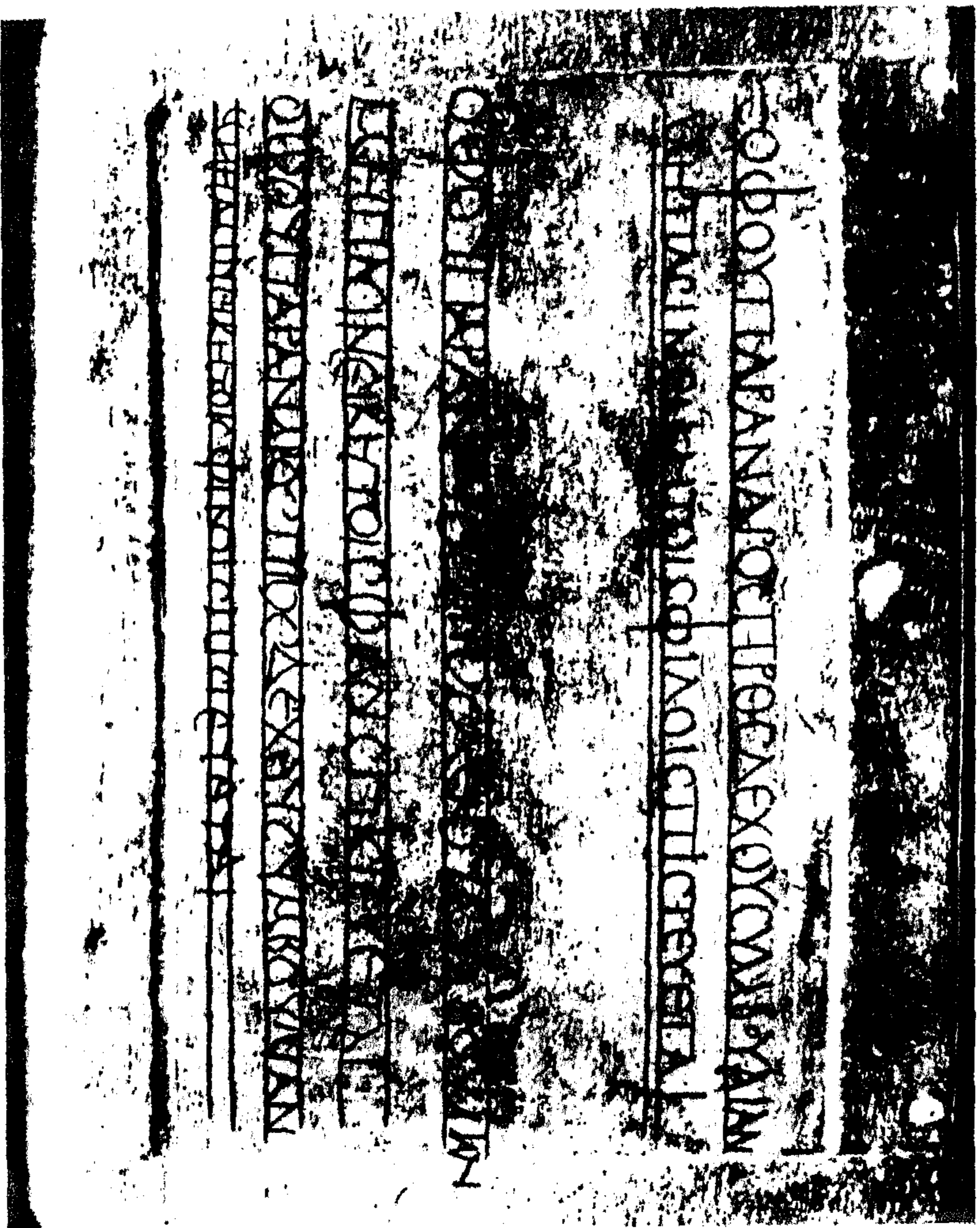
٥ – بردية للتمرين على الكتابة والخط اليدوى لتلميذ مبتدئ من القرن (٢) الميلادى

٦ – بردية لبعض أبيات ملحمة الألياذة : القصيدة الثامنة ، أبيات ٤٣٣–٤٤٧ ،
وتؤرخ فيما بين القرن (١) – (٢) الميلاديين
وحيث تظهر – لأول مرة – علامات التنوين لنطق الكلمات وبخاصة علامتى : التونوس (´) : Tónos ،
والبريسبوميتى (Perispoméni) ، نطق الحرف المتحرك طويلاً (῀)

ΟΤΙ ΥΠΑΓΕΙ ΕΙC ΤΟ ΜΝΗΜΕΙΟΝ ΙΝΑ
ΚΛΑΥCΗ ΕΚΕΙ· Η ΟΥΝ ΜΑΡΙΑΜ ΩC ΗΛ
ΘΕΝ ΟΠΟΥ ΗΝ ΙC ΚΑΙ ΙΔΟΥCΑ ΑΥ
ΤΟΝ ΕΠΕCΕΝ ΑΥΤΟΥ ΕΙC ΤΟΥC ΠΟ
ΔΑC ΛΕΓΟΥCΑ ΚΕ· ΕΙ ΗC ΩΔΕ ΟΥΚ Α
ΜΟΥ ΑΠΕΘΑΝΕΝ Ο ΑΔΕΛΦΟC· ΙC ΟΥ
ΩC ΕΙΔΕΝ ΑΥΤΗΝ ΚΛΑΙΟΥCΑΝ Κ·
ΤΟΥC CΥΝΕΛΘΟΝΤΑC CΥΝ ΑΥΤΗ Ι
ΟΥΔΑΙΟΥC ΚΛΑΙΟΝΤΑC· ΕΤΑΡΑΧΘΗ
[illegible] ΤΩ ΠΝΙ ΩC ΕΜΒΡΙΜΩΜΕΝΟC
ΤΟΝ ΚΑΙ ΕΙΠΕΝ ΠΟΥ ΤΕΘΕΙΚΑΤΑΙ ΑΥ
ΤΟΝ ΛΕΓΟΥCΙΝ ΑΥΤΩ ΚΕ ΕΡΧΟΥ Κ ΕΙΔΕ
ΕΔΑΚΡΥCΕΝ Ο ΙC ΕΛΕΓΟΝ ΟΥΝ ΟΙ ΙΟΥ
ΔΑΙΟΙ ΕΙΔΕ ΠΩC ΕΦΙΛΕΙ ΑΥΤΟΝ ΤΙ
ΝΕC ΔΕ ΕΙΠΟΝ ΕΞ ΑΥΤΩΝ ΟΥΚ ΕΔΥ
ΝΑΤΟ ΟΥΤΟC Ο ΑΝΟΙΞΑC ΤΟΥC ΟΦΘΑΛ
ΜΟΥC ΤΟΥ ΤΥΦΛΟΥ ΠΟΙΗCΑΙ ΙΝΑ Κ

ترجمة « وقال أحدهم : ألم يقدر أنه أن يفتح عيون الأعمى ، وكذلك
هل يفعل ذلك . » (يشير إلى إحدى معجزات السيد المسيح) .

٧ – بردية من إنجيل "يوحنا" ، (١١ : أبيات ٣١–٣٧) وتؤرخ بمطلع القرن (٣) الميلادى

I - بردية عقد زواج ، من برديات إليفانتين (فيلة) بأسوان تؤرخ بعام ٣١١ ق.م.

II - رسائل بردية خاصة ، من القرن (٣) و (٢) ق.م.

المؤلف فى سطور

ريتشارد هاريس

أستاذ الكلاسيكيات فى جامعة أوكسفورد بإنجلترا وصاحب عشرات المقالات فى العصر الهيلانستى وبخاصة فى الدراسات البردية .

المترجم فى سطور

محمود إبراهيم السعدنى

تخرج من كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧٣

يعمل حالياً أستاذاً لتاريخ الحضارة اليونانية – الرومانية ووكيل كلية الآداب – جامعة حلوان .

له العديد من الكتب والأبحاث فى التخصص الدقيق منشورة باللغات العربية والإنجليزية واليونانية .

كانت مصر تصنع البردى من لبابه نبات المستنقعات الذى يحمل ذلك الاسم، وكان ينمو بكثرة فى أحراش الدلتا، وذلك قبل غزو الإسكندر الاكبر لمصر بعدة قرون. وكان المصريون بفضل مهارتهم ودقة صناعتهم له قد جعلوا منه أفضل مادة معروفة للكتابة. ولم يعرف فى أى وقت من الأوقات - فى العالم القديم - أنه تم إعداد البردى لأغراض الكتابة عليه خارج مصر. وفى خلال العصر الكلاسيكى فى اليونان كان البردى يستخدم بشكل عام، ولكنه لم يكن يستخدم بالدرجة نفسها من رخص سعره وملاءمة نوعه كما كان فى مصر. إن الآداب والعلوم لم تستطع أن تتطور كما فعل البردى، أو - على الأقل - كان انتشارها واستمرارها يواجه صعوبات أكبر. لقد أمدت مصر كل الإمبراطورية الرومانية بالبردى، من حائط هادريان غربًا حتى نهر الفرات شرقًا، ومن نهر الدانوب شمالاً حتى الشلال الأول جنوبًا.

إن قصة البردى لم تنته عند هذا الحد: ذلك لأنه فى كل عام يتم نشر نصوص جديدة، ولأن موضوعات تلك النصوص وتاريخها لا يقل أهمية عن أعدادها.